أثر مصدر الحياة في القضاء على مصدر المعرفة

دراسة تأريخيه عن ضياع الكتاب العربي بسبب المياه

(ق١ – ق١٤هـ)

أ. د. إمام الشافعي محمد حمودي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ورئيس قسم التاريخ

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

د. أشرف صالح محمد سيد

دكتوراه في تاريخ وحضارة العصور الوسطى

رئيس تحرير دورية كان التاريخية – القاهرة

مقدمة

الكتب والمكتبات مخلوق كسائر المخلوقات، تخضع لسُنَّة الهناء والشقاء، أو قصر العمر أو طول البقاء، وقد يقابلها الصديق الوفي الذي يحافظ عليها ويعمل على منفعتها، وكذلك العدو اللدود الذي يسعى لإيقاع الأذى بها. وخلال فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ما بين القرن السابع والقرن الثالث عشر للميلاد، عندما اتسع أفق المسلمين العقلي، وتنوعت اهتماماتهم الفكرية والعلمية، كانت المكتبات نتاج طبيعي لهذه الحضارة وانعكاس لها، وقد ساهمت في توسيع نطاقها والحفاظ عليها، ونقلها إلى الأجيال التالية.

ونظرًا لأن الكتاب هو الوعاء الثابت والدائم للكلمة الفاعلة والخلّاقة، يجمع بين القوة والضعف، والخطورة والانقياد في آن، لهذا يتعرض الكتاب كثيرًا لمحاولات الإلغاء والتدمير وبطبيعة الحال المكتبة، فينتج من هذا سلسلة من الأحداث، ومن ثَمَّ النصوص التي تتعرض للسطوة التي يمارسها الإنسان على الكتاب، وتكشف عن مقاومة الكتابة والكتاب لتلك الهيمنة الدائمة.

لقد كان للحضارة العربية والإسلامية قدم السبق على سائر الحضارات في الاهتمام بالكتب تأليفًا، وتصنيفًا، وتنسيقًا، وخطًا، ونسخًا، ومقابلةً، وتصحيحًا، وترجمةً، واقتناءً، وإهداءً، وتفننا في جميع ذلك وغيره، بما لا تعرفه حضارة أخرى مثلما عرفته حضارتنا المتألقة، إلا أن الكتاب العربي والإسلامي تعرض لكوارث لا حد لها، كان من أهمها الحروب والغزوات الداخلية والخارجية التي تعرض لها العالم الإسلامي، حيث دُمرت الكثير من المكتبات، كما كان للمحن والبلايا مثل

المجاعات وحالات الغلاء والفقر والتي كانت كثيرًا ما تعصف بالبلاد الإسلامية، أثر كبير على مصير الكتاب الإسلامي الذي تعرض للسلب والنهب والتدمير، أضف إلى ذلك؛ السرقة، والجهل، والتعصب، والفتن، والإهمال، وعدم أمانة المشرفين على المكتبات.

الأمر الذي أدى إلى ضياع زهاء ثمانية ملايين كتاب على أقل تقدير، هي ثمرة جهود العلماء والفلاسفة والأدباء والمفكرين عبر عصور مختلفة، أضف إلى ذلك ما تعرضت له الخزائن والكتب من محن بسب انتشار ظاهرة غريبة بين العلماء، ألا وهي ظاهرة إتلاف الكتب، كحرقها عمدًا مع سبق الإصرار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض، أو تطييرها في الهواء، أو تمزيقها ورميها في الهواء، أو تركها في الصحراء، أو إلقائها في الأنهار والآبار أو البحار، أو إعدامها والتخلص منها بطريقة أو بأخرى.

ومن الملاحظ أن؛ الماء كان حاضرًا فاعلاً ومفعولاً في ظاهرة تغييب الكتاب، تارة بكثرة التساقطات الغزيرة والسيول المدمرة، ومرات في الغسل والإغراق، وفي هذا السياق تسعى هذه الدراسة إلى تقديم رؤية شاملة لدور الماء في ضياع جزء من التراث العربي المخطوط، بغرض تجاوز الوقوف في أبحاثنا عند النار وحرق الكتب، ولفت الانتباه إلى حضور الماء بشكل رئيس في ظاهرة ضياع النصوص المخطوطة في التراث العربي الإسلامي.

تقتصر هذه الدراسة على رصد حالات الغرق والإغراق والغسل، ويشمل ذلك الحوادث والكوارث والعوامل الطبيعية والإهمال، وحالات إتلاف المؤلفين لمؤلفاتهم وكتبهم بدافع من أنفسهم أو أوصوا بذلك، وحالات إتلاف السلطة للكتب، سواء

تمثلت هذه السلطة في الحاكم أو المجتمع أو العادات والتقاليد. والحدود الزمنية للدراسة تمتد خلال الفترة من القرن الأول الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، ولم تتقيد الدراسة بناحية مكانية معينة، فهي تعتمد على استقصاء أثر الماء في ضياع الكتاب من أي مكان داخل العالم العربي الإسلامي.

لن تتعرض الدراسة لحالات "المحو" (محو الكتابة)، إلا ما ذكر فيه صراحةً أنه تم محوه بالماء، وتستبعد الدراسة ما دون ذلك، لأن بعض حالات المحو كانت تقارب "الكشط" وأغرب طرقه "المحق"، وهو إزالة الكتابة بترقيق الجلد. ويجب التنويه أن الكتب في مفهوم الحضارة الإسلامية – قبل اختراع الطباعة – هي الكتب المخطوطة، حيث كان العرب يستعملون كلمة "كتاب" للدلالة على الكتاب الذي يحمل بين طياته نصوصًا مكتوبة سواء أكانت مكتوبة على ورق أو غيره من وسائل حمل المعلومات كالرق على سبيل المثال. وتجدر الإشارة إلى؛ أن كلمتي "مكتبة" و"خزانة الكتب" كانتا تستخدم كمترادفين للدلالة على أماكن حفظ الكتب واستخدامها.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي؛ الذي يعتمد على النظر في الماضي ويستقرئ أحداثه، لجمع الحقائق والمعلومات المتعلقة بالموضوع من مصادره الأصيلة التي أرخت لفترة الدراسة، لأن استرداد الماضي لا يكون إلا من خلال هذه المصادر والتي تشمل كتب التاريخ والجغرافيا وكتب التراجم والطبقات وغيرها. هذا بالإضافة إلى الكتابات الحديثة عن تاريخ الكتب والمكتبات. وكان عمل الباحث يعتمد على استخراج المعلومات من بطون المصادر القديمة والمراجع الحديثة بإتباع أسلوب الوصف والتسجيل، أما المواضع التي تحتاج إلى تحليل

وتفسير، فقد اتبع الباحث فيها أسلوب التحليل والتأويل قدر الإمكان.[1]

(١) راجع: السيد النشار (١٩٩٣، ص٢٣٢). ربحي مصطفى عليان (١٩٩٦، ص١٥ – ٤٢). حامد الشافعي دياب (١٩٩٨، ص١٨). أحمد شوقي، مصطفى طوبي (٢٠٠٥، ص٣١٧ – ٣١٨). مهدي علي (٢٠١٢، ص٣٢ – ٤٢). أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٦). خالد عبد الرحمن أحمد (٢٠١٥، ص١٩٨ – ٢٠٢). محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٩ – ١٠). معجب العدواني (٢٠١٥، ص٧). أشرف صالح محمد (٢٠١٧، ص١٣ – ٣١).

أولاً: مصادر المعرفة الغريقة

الكتاب في الحضارة العربية الإسلامية لم يسلم من نوائب الدهر وظروف الزمن العاتية،[١] فقد اذهبت الكوارث المائية وحوادث الغرق جهد العديد من العلماء والمفكرين والمبدعين في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، فضاعت ثروة معرفية كبيرة نتيجة ما تعرضت له خزائن الكتب العامة والخاصة، وما أصاب مؤلفات كثيرة لا تحصى بسبب غرق المكان الذي كانت فيه.[٢]

ووفقًا لحدود الدراسة أمكن حصر أربع وعشرين حالة تلف للكتب موزعة على الكوارث المائية وحوادث الغرق خلال الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الرابع عشر الهجري، ونرصد فيما يلي ما تعرضت له المكتبات والكتب من محن بسبب الماء، متابعين ومسجلين ذلك وفق التسلسل الزمني.

١/١- الكتب والكوارث المائية

أورد ياقوت في ترجمة أبي عمرو الهروي (ت. ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، الذي كان علامة فاضلاً ونحويًا كبيرًا، أنه اتصل بالأمير يعقوب بن الليث الصفار (ت. ٢٦٥هـ/ ٨٧٩م)، فخرج معه إلى نواحي فارس، وحمل معه كتاب "الجيم"، فطغى الماء من النهر على معسكر يعقوب القريب، فغرق الكتاب فيما غرق من المتاع.[٣] وكتاب "الجيم" هذا ذكره ياقوت بأنه كتاب كبير، رتبه على حروف المعجم ابتداءً بحرف الجيم، لم يسبق إلى مثله، أودعه تفسير القرآن وغريب

(١) عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١٠٧).

(٢) نوفل محمد نوري (٢٠١٠، ص٤٣).

(٣) ياقوت الحموي (١٩٣٦، ج٤/ ص٢٦٢). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٣).

الحديث، وكان ضنينًا به، فلم ينسخه أحد، وهكذا فُقِدَ إلى حين.[١]

مما لا شك فيه؛ أن الكوارث المائية كان لها أثر جسيم في تلف جزء كبير من التراث العربي، فقد كان للسيول والفيضانات والعواصف أثرها البالغ في ضياع مصادر المعرفة غرقًا، ومنها ذلك السيل الشهير الذي وقع في مكة سنة ٤١٧هـ فدخل الماء إلى الحرم ووصل إلى خزائن الكتب فأتلف منها الشيء الكثير، ووصل إلى قناديل المطاف، ومات فيه نفر كثير.[٢]

وذكر ابن الجوزي في حوادث سنة تسع وثمانين وأربعمائة (٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م) أنه في تلك السنة استولى الغرق على بغداد، حيث أتى عليها سيل عظيم ذهب فيه الكثير من الناس والمتاع، وكان مما ذهب في تلك الحادثة كتب أحد أكابر علماء الحديث وهو "محمد بن أحمد بن منصور البغدادي" (ت. ٤٤١هـ)، فاستولى الغرق على داره وكتبه، ولم يبق له شيء.[٣]

---

(١) قاسم عثمان (٢٠٠٥، ص٢٩٨). نوفل محمد نوري (٢٠١٠، ص٤٢ – ٤٣).

(٢) ويسجل التاريخ وقوع سيول جارفة أخرى في مكة سنوات (٧٣٨هـ)، (٨٨٦هـ)، (٩٠١هـ)، وفي كل مرة تلحق هذه السيول أضرارًا بالغة بخزائن الكتب الموجودة في المسجد الحرام إلى أن أصدر الأمر السلطاني في ١٩ من شوال سنة ١٢٨٧هـ بنقلها إلى مكان أخر. محمد بن عبد الله باجودة (٢٠٠٢/ ص١٤٣– ١٤٧). وكذلك السيل الكبير الذي اجتاح إشبيلية في التاسع عشر لجمادي الآخرة سنة سبعة وتسعين وخمسمائة، وهو من أكبر السيول وأعظمها عبرة وأشدها أثارًا. عبد الله الأوسي (د.ت، ج٥/ ص٦٦١). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٧).

(٣) ابن الجوزي (١٩٩٢، ج١٧/ ص٣٥). الذهبي (١٩٥٥، ج٤/ ص١٢٢٦). وسام منير (٢٠٠٧، ص٢٢٢).

ومن خزائن العلماء التي تعرّضت للغرق بسبب السيول والفيضانات مكتبة العلامة ابن الجوزي (ت.٥٩٧هـ)، قال أبو الفرج ابن الجوزي: "لما وقع الغرق سنة أربع وخمسين وخمسمائة (٥٥٤هـ)، غرقت كتبي، وسلم لي مجلد، فيه ورقتان بخط الإمام أحمد.[١]

ومن خزائن الكتب التي غرقت قضاءً وقدرًا خزانة كتب ابن الدهان النحوي البغدادي "سعيد بن المبارك بن علي، أبو محمد" (٤٩٤ – ٥٦٩هـ/ ١١٠١ – ١١٧٤م)،[٢] كان محبًا للكتب مغرمًا بجمعها، فكون بذلك مكتبة رائعة، إلا أنها قد

ذهب أكثرها نتيجة لبعض العوامل الطبيعية، وذلك لأن ابن الدهان كان قد ترك بغداد وانتقل إلى الموصل تاركًا مكتبته الخاصة في بغداد، فغرقت بغداد في تلك السنة – إما لفيضان النهر أو للسيول العارمة– وعندما علم ابن الدهان بذلك أرسل مَنْ يحضر كتبه إليه إذا كانت سالمة، إلا أنه وجدها قد غرقت، ومما أساء إلى الأمر أكثر أنه كان خلف داره مدبغة غرقت هي الأخرى وفاض الماء منها إلى داره، فتلفت الكتب بهذا السبب تلفًا كبيرًا إضافة إلى الغرق، وكان ابن الدهان قد أفنى عمره كله في تحصيل تلك الكتب، وعندما حُمِلت الكتب إليه وهي على تلك الحالة، أشار عليه البعض أن يطيبها بالبخور، ويصلح ما أمكن منها عن طريق تبخرها باللاذن (من أنواع العلوك)، ففعل ذلك إلى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطلاً من اللاذن، حتى تسبب البخار الناتج عن ذلك في إصابته بالعمى.[٣]

---

(١) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٧).

(٢) القفطي (٢٠٠٤، ج٢/ ص٤٧). الذهبي (٢٠٠١، ج٢٠/ ص٨١).

(٣) ياقوت الرومي (١٩٩١، ج٣/ ص٣٧٩ – ٣٨٠). ابن خلكان (١٩٦٨، ج٢/ ص٣٨٢ –

وقد اجتاح السيل مدينة بعلبك سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، فدخلت المياه إلى مسجد الحنابلة وأتلفت الكتب الموجودة في خزائن المسجد.[١]

وفي سنة (١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م) وقع سيل في مكة لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه المدينة، فدمر أبنيتها ودخلت المياه المسجد الحرام، فأتلفت ما كان به من المصاحف والربعات والكتب، فكانت خسارة فادحة،[٢] وهكذا ساهمت حوادث الغرق بقسط وافر في القضاء على كثير من مقتنيات المكتبات الإسلامية.[٣]

وذهبت في البحر كتب الشيخ فخر الدين الطريحي (ت.١٠٨٥هـ)، وكانت كتبًا كثيرة بخطوط غاية في الجودة، فانتقلت إلى ورثته بعد وفاته، ونُقِلَ عن بعض الأعلام أنه رأى بعينيه في سرداب داخل دار الشيخ نعمة الطريحي ما يقرب من ثلاثة أحمال من أوراق كتب مبعثرة قد أتلفها المطر، فنُقلت بأجمعها وألقيت في البحر.[٤]

وغرقت كتب ثمينة في الموصل في دير للكلدان يسمى دير الربان هرمزد، كان يشتمل على مكتبة ثمينة حوت مئات المخطوطات القديمة المكتوبة على الرق، وقد خرَّب الأكراد الدير المذكور وأعملوا السيف في رهبانه سنة ١٢٥٩هـ، فاستطاع الرهبان أن يهرَّبوا نحو خمسمائة مخطوطة أودعوها قبوًا قديمًا مجاورًا

---

٣٨٣). الصفدي (١٩١١، ص٩٥). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٥). وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٢٢). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٤).

(١) شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧، ص٣٥٥). وسام منير (٢٠٠٧، ص٢٢٣).

(٢) فيليب دي طرازي (١٩٤٨، مج٣/ ص١٠١١). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٦).

(٣) وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٢٢).

(٤) جعفر آل محبوبة (١٩٥٥، ص١٠٤). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٧).

للدير، غير أن مطرًا غزيرًا سقط من أعالي الجبل فاجتاحت سيوله القبو والكتب معًا، ودفعتهما إلى قعر الوادي، فتلفت جميعها ولم يعثر لها بعد ذلك على أثر.(١)

ومن المكتبات التي تعرضت للغرق بسبب السيول الجارفة مكتبة "اليعقوب" في مدينة حائل، وهي من أقدم المكتبات في السعودية وأنفسها وأكبرها، سُميت بمكتبة اليعقوب نسبة إلى مؤسسها عميد أسرة اليعقوب محمد بن سعد بن يعقوب، المتوفي سنة ١٢٨٠هـ، الذي يُعتقد أنه أسسها في سنة ١٢٥٠هـ، كما هو موضح في بعض المخطوطات والكتب المنسوخة في المكتبة، إلا أنها تعرضت لبعض التلف، فقد ذكر الأستاذ سليمان يوسف اليعقوب، أحد أحفاد يعقوب، بأن المكتبة في سنة ١٣٨٨هـ تعرضت للغرق بعد أن غرقت مدينة حائل بأكملها.(٢)

٢/١- حوادث غرق الكتب

ابتليت المكتبات الأندلسية بالغرق، ومنها مكتبة أبي موسى عبد الرحمن بن موسى الهواري (ت.٢٢٨هـ) من أهل أستجه، "فإنه لما صدر من سفره عطب ببحر (تدمير) فذهبت كتبه، وقصده الشيوخ يهنئونه بقدومه ويعزونه عن ذهاب كتبه فقال لهم: ذهب الخرج، وبقى الدرج (يعني ما في صدره) أنا شعبي زماني فليسألني مَنْ

(١) كوركيس عواد (١٩٣٤، ص٥٠ – ٥٤). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٩٤ – ٩٧). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٧).

(٢) وقد تلفت بعض الكتب وقام هو بإصلاح بعضها، وقام بإهداء هذه المكتبة إلى المعهد العلمي في حائل التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود (السعودية). سليمان العلي (٢٠٠٦). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٧).

شاء".[١]

كانت السفن والمراكب من الوسائل المستعملة في حمل الكتب ونقلها من مكان لأخر منذ عصور مديدة، وبسبب غرق كثير من السفن التي كانت محملة بالكتب ضاع الكثير من نفائس تراثنا العربي، ومعلوم أن هذه السفن كانت تتعرض أحيانًا للغرق بسبب ما قد يلحقها من إعطاب، أم حينما تصادفها بالبحر العواصف وشدة هيجان البحر، وربما قد تغرق بسبب اعتراض سبيلها من قبل القراصنة.[٢]

ومن العلماء الذين غرقت كتبهم بغرق السفن التي كانوا عليها الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت. ٢٩٤هـ)،[٣] فقد قال -كما رواه الخطيب بسنده إليه-: "خرجت من مصر ومعي جارية لي، فركبت البحر أريد مكة، قال: فغرقت فذهب مني ألف جزء، قال: وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، قال: فما رأينا فيها أحدًا، قال: وأخذني العطش فلم أقدر على الماء قال: فأجهدت فوضعت رأسي على فخذ جاريتي مستسلمًا للموت، قال: فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، قال: فأخذت فشربت وسقيت الجارية، قال: ثم مضى فما أدري من أين جاء ولا من أين ذهب".[٤]

وعلى الرغم من عناية معظم العلماء بكتبهم وحرصهم على صونها، إلا أن

---

(١) الزبيدي (١٩٧٣، ص٢٥٣). ابن الفرضي (١٩٦٦، ج١/ ص٢٥٧ – ٢٥٨). أبو الفضل بن عياض (د. ت، مج١/ ج٢/ ص٥٠٧).

(٢) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٧).

(٣) راجع: الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٣/ ص٣١٥). الذهبي (٢٠٠١، ج١٤/ ص٣٣). السبكي (١٩٩٢، ج٢/ ص٢٤٦).

(٤) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٣/ ص٣١٧). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٨).

بعضهم قد ابتلي بغرقها، وغالب الظن أن ذلك كان بسبب الغفلة عن اتخاذ التدابير التي تضمن سلامتها، ومن هؤلاء العلماء أبو عبد الله محمد بن عيسى بن رفاعة الأندلسي من أهل رية، عُرف بابن القلاس، مولده سنة ٢٧٠هـ، رحل إلى المشرق وعاد إلى الأندلس سنة ٢٩٠هـ وسكن قرطبة وحدّثَ بها، وكان شيخًا وقورًا صالحًا، وتوفي سنة ٣٣٧هـ.(١) ذكر ابن حارث الخشني أن كتبه غرقت، وأقامت تحت الماء أيامًا كثيرة، ثم استخرجها وقد ذهب منها كثير، فكان مما خلص له وحدّث به كتب أبي عبيد في الشرح والفقه والأموال والقراءات والناسخ والمنسوخ، وخلص له من غير كتب أبي عبيد موطأ مالك من طرق شتى قد ضبطت كل رواية منها، ذكر ابن الفرضي أن بعض تلاميذه ذهبوا إليه لقراءة كتب أبي عبيد عليه، فأخرج إليهم كتبًا انتسخها في الأندلس في رق، فسألوه عن أصول الكاغد التي سمع فيها، فحكى أن ماء البحر وصل إليها وتشرم بعضها فنقلها وقابلها.(٢)

ومن المكتبات الأندلسية الغريقة مكتبة أبي يحيى أفلح (ت. ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) من موالي الخليفة الناصر، من أهل قرطبة، والذي "ذهبت كتبه في البحر".(٣)

من العلماء الذين تعرضت كتبهم للغرق، المحدث المسند أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي (ت. ٣٦٨هـ). قال السلمي: سألت الدارقطني عنه، فقال: ثقة زاهد قديم، سمعت أنه مجاب الدعوة. وعن أبي الحسن بن الفرات قال: كان مستورًا، صاحب سنة، كثير السماع، إلا أنه خلط في آخر عمره، وكف بعده

(١) الخشني (١٩٩٢، ص١٧٦). ابن الفرضي (١٩٨٨، ج٢/ ص٥٧).
(٢) ابن الفرضي (١٩٨٨، ج٢/ ص٥٨). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٩).
(٣) ابن الفرضي (١٩٦٦، ج١/ ص٨٣). رضا سعيد (٢٠٠٩، ص١٥١).

وخرف حتى كان لا يعرف شيئًا مما يُقرأ عليه.[١] فقد ذكروا أن بعض كتبه غرقت، فنسخها من كتاب ليس فيه سماعه، وضُعَّفَ لأجل ذلك. قال محمد بن أبي الفوارس (٣٣٨ – ٤١٢هـ): "أبو بكر بن مالك كان مستورًا، صاحب سُنّة، ولم يكن في الحديث بذاك، له في بعض المسند أصول فيها نظر، ذُكِرَ أنه كتبها بعد الغرق"،[٢] وقال الخطيب البغدادي: "كان بعض كتبه غرق، فاستحدث نسخها من كتاب لم يكن فيه سماعه، فغمزه الناس، إلا أنا لم نرَ أحدًا أمتنع من الراوية عنه، ولا ترك الاحتجاج به"، وقال أبو بكر البرقاني (ت. ٤٢٥هـ): "كنت شديد التنقير عن حال ابن مالك، حتى ثبت عندي أنه صدوق لا يشك في سماعه، وإنما كان فيه بَلَه، فلما غرقت القطيعة (أماكن متفرقة في بغداد) بالماء الأسود، غرق شيء من كتبه، فنسخ بدل ما غرق من كتاب لم يكن فيه سماعه، ولما اجتمعت مع الحاكم بن عبد الله ابن البَيع بنيسابور، ذكرت ابن مالك ولينته فأنكر عليّ وقال: "ذاك شيخي. وحسَّنَ حاله".[٣] وقال ابن كثير (ت. ٧٧٤هـ): "ولم يمتنع أحد من الرواية عنه، ولا التفتوا إلى ما شغّب به بعضهم من الكلام فيه بسبب غرق كتبه، حين غرقت القطيعة بالماء الأسود فأستحدث بعضها من نسخ أُخَر، وهذا ليس بشيء؛ لأنها قد تكون معارضةً على كتبه التي غرقت. والله أعلم".[٤]

---

(١) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٤/ ص٧٣). الذهبي (٢٠٠١، ج١٦/ ص٢٠١ – ٢١٣). ابن كثير (١٩٩٨، ج١٥/ ص٣٩١). أحمد بكري الطاهري (٢٠٠٨، ص١٠٠).

(٢) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٤/ ص٧٤).

(٣) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٤/ ص٧٣).

(٤) ابن كثير (١٩٩٨، ج١٥/ ص٣٩١). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٩).

ومن المحدثين الذين ذكروا أن أصوله غرقت فاستدرك نسخها من نسخ أخرى: أبو عبد الله أحمد بن يوسف بن دوست العلاف البزار (ت. ٤٠٧هـ)، كان مكثرًا من الحديث عارفًا به، حافظًا له، بصيرًا بالفقه على مذهب الإمام مالك،[١] قال ابن السوادي (ت. ٤٣٥هـ): "رأيت كتبه كلها طَرِيَّة، وكان يُذكر أن أصوله غرقت، فاستدرك نسخها".[٢] وتحاشى الإملاء منها عند التحديث، فسُئل عن سبب ذلك، فقال للسائل: "انظر فيما أمليت، فإن كان في ذلك خطأ لم أُملِ من حفظي، وإن كان جميعه صوابًا، فما الحاجة إلى الكتاب".[٣]

ومن العلماء الذين غرقت كتبهم أبو الحسن علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السَّمسِمَاني (ت. ٤١٥هـ) من كبار علماء اللغة، وكان صدوقًا، صاحب خط متقن في الصحة، مرغوب فيه لتحقيقه، وتصدر ببغداد للرواية وإقراء الأدب، له مصنفات كثيرة، وأكثر كتبه بخطه، ذكر القفطي (ت. ٦٢٤هـ)[٤] وابن خلكان (ت. ٦٨١هـ)[٥] أن كتبه أدركها الغرق ففسد أكثرها.[٦]

ومن القصص الطريفة في غرق الكتب ما تذكره بعض المصادر من غرق كتاب الفصوص لأبي العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الرَّبَعي الموصلي (ت. ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)، وكان صاعد قد قدم إلى الأندلس في حدود سنة (٣٨٠هـ/

(١) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٥/ ص١٢٤). الذهبي (٢٠٠١، ج١٧/ ص٣٢٢).
(٢) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٥/ ص١٢٤). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٣).
(٣) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٤). محمود رشيد (٢٠١١، ص٢٠٠).
(٤) القفطي (٢٠٠٤، ج٢/ ص٢٨٨).
(٥) ابن خلكان (د.ت، ج٣/ ص٣١٢).
(٦) الكتبي (١٩٥١، ج١/ ص٤٢٣). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٤).

٩٩٠م) واتصل بالمنصور بن أبي عامر (ت. ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م)، فأكرمه واستوزره، وألف له أبو العلاء كتبًا كثيرة منها كتاب "الفصوص" على منوال كتاب النوادر لأبي علي القالي، فأثابه عليه بخمسة آلاف دينار في دفعة واحدة، وأمره أن يسمعه الناس في المسجد الجامع بالزاهرة، وأحتشد له جماعة من أهل الأدب ووجوه الناس بسماعه في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (٣٨٥هـ)، واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة، وهي أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلام له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة، فزلت قدم الغلام، فسقط في النهر هو والكتاب، فقال في ذلك ابن العريف "الحسين بن الوليد بن نصير" (ت. ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء (خلافات) ومناظرات: "قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص"، فضحك المنصور والحاضرين، فلم يَرُع ذلك صاعدا، وقال على البديهة مجيبًا لابن العريف: "عاد إلى معدنه إنما توجد في قعر البحار الفصوص".[١]

ويذكر ابن بشكوال أن السبب في إغراق كتاب الفصوص، هو "أن صاعد البغدادي كان يُتهم بالكذب، فرفض الناس كتابه، ولما تبين المنصور بن أبي عامر كذبه في قوله وعدم تثبته، رماه في النهر لأنه قيل له إن جميع ما فيه لا صحة له".[٢] وعند ابن بسام في الذخيرة،[١] أن المنصور غضب من صاعد وقال له:

---

(١) ياقوت الحموي (١٩٨٠، ج٤/ ص٢٦٦). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٤). رضا سعيد (٢٠٠٩، ص١٥١).

(٢) ابن بشكوال (١٩٦٦، ص٢٣٧ – ٢٣٨). حاجي خليفة (١٩٩٠، مج٢/ ص١٢٦١). رضا سعيد (٢٠٠٩، ص١٥١).

"ابعد الله مثلك، فما رأيت الذي هو أكذب منك"، وأمر بإخراجه، وأن يُقذف بكتاب الفصوص في النهر، ثم أورد البيتين المذكورين.[٢]

ويبدو أن بعضًا من الكتب الغريقة لم تتمح بشكل تام فبادر أصحابها إلى معالجتها وترميمها، فاجتهد بعضهم في استدراك ما امَّحى من الكتاب –بسبب الغرق أو وصول الماء إليه– من أصول أخرى، كما صنع الأديب عبد المهيمن بن محمد الحضرمي السبتي (ت. ٧٤٩هـ) بكتاب "زهرة الظرف" لشيخه أبي بكر محمد بن محمد بن إدريس القضاعي القَلَلُوسي الملقب بالفار (ت. ٧٠٧هـ)، وقد وردت قصة غرق نسخته من الكتاب المذكور واستدراكه ما انمحى منها من نسخة أخرى في مخطوط "زواهر الفكر وجواهر الفقر" لابن الجنان: "يقول العبد المذنب المستغفر عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي –نفعه الله بالعلم ورزقه العمل به– كان صاحبنا الأديب الأستاذ المحقق أبو بكر محمد بن محمد بن إدريس القَلَلُوسي رحمه الله تعالى قد كتب لي بخطه نسخة من هذا الكتاب الذي جمعه في عروض دوبيت وصححها أسمعنيها بلفظه، وكان إتمامه لنسخها لسبع خلون من رمضان، وإتمام سماعي لها بخمس خلون من شوال بعده من سنة تسع وتسعين وستمائة بمحروسة سبتة، ثم غرقت النسخة... جواز البحر إلى الأندلس في صدر سنة ست وسبعمائة، وانمحى أكثرها، فظفرت بعد ذلك بنسخة من الكتاب ظهرت في كتب شيخنا الخطيب أبي عبد الله بن رُشَيد بعد وفاته رحمه الله، فاستنسخت منها هذه النسخة وعارضتها بها، وكان الخطيب أبو

---

(١) ابن بسام (١٩٩٧، ق٤/ ج١/ ص١٥).

(٢) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٦/ هامش٢٩).

عبد الله قد سمعها من صاحبنا أبي بكر وعارضها معه، وعارضتها أيضًا بما بقي غير مندرس من نسختي المذكورة أولاً، واجتهدت في ذلك بحسب الوسع، والله سبحانه يخلص أعمالنا لوجهه".[١]

ومن نفائس ما فُقد بسبب غرق السفن مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان (ت. ٣٥هـ)، وهو أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان إلى الأمصار: (مكة والبصرة والكوفة والشام). فقد كان هذا المصحف متداولاً عند بني أمية وأهل الأندلس، واستمر في قرطبة في جامعها الأعظم، إلى أن نُقل إلى مراكش سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) في عهد السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي، ثم أصبح بعده في حوزة المعتضد بالله علي بن إدريس بن يعقوب المنصور، وبعد مقتله سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) نُهب المصحف، فَعَثَرَ عليه ملوك بني عبد الواد أصحاب تلمسان فاحتفظوا به في خزانتهم إلى أن افتتح السلطان أبو الحسن المريني تلمسان، فاستولى على المصحف، وكان يتبرك به ويحمله معه في أسفاره وفتوحاته، فحمله معه حين فتح إفريقية، ولما قفل بحرًا راجعًا من تونس إلى المغرب سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) هبّت عاصفة شديدة في البحر فأغرقت أسطوله ونجا هو لوحده بأعجوبة، وهلك بالغرق جميع مَنْ كان معه وفيهم ما يناهز أربعمائة عالم من جلة علماء المغرب، ويرى المؤرخ أحمد بن خالد الناصري في كتابه "الاستقصا" أن مصحف الخليفة عثمان ضاع في هذه النازلة، إذ كان ذلك آخر العهد به.[٢]

---

(١) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٤).

(٢) الإدريسي (د.ت، ص٢١٠). المقري (١٩٣٩، ج١/ ص٦٠٦). فيليب دي طرازي (١٩٤٨،

ومن العلماء الذين أصيبوا بضياع كتبهم العلامة النحوي الشهير جمال الدين عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام (ت. ٧٦٢هـ) فقد ألف كتابًا في الإعراب في مكة سنة ٧٤٩هـ وأصيب به وبغيره من الكتب في منصرفه إلى مصر. وإلى هذه الواقعة أشار في مقدمة كتابه مغني اللبيب، فقال: "وقد كنت في عام تسعة وأربعين وسبعمائة (٧٤٩هـ) أنشأت في مكة زادها الله شرفًا كتابًا في ذلك، منورًا من أرجاء قواعده كل حالك، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر، ولما مَنَّ الله عليّ في عام خمسة وخمسين بمعاودة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله شمرت عن ساعد الجد ثانيًا، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانيًا، ووضعت هذا التصنيف، على أحسن إحكام وترصيف"؛[١] يعنى كتابه "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب"، والذي يبدو من سياق كلامه أن أصله ضاع منه بسبب الغرق.[٢]

ومن العلماء الذين غرقت مراكبهم وفيها بعض تصانيفهم؛ الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ)، فقد ذكر تلميذه السخاوي خبر رحلته الثانية إلى اليمن سنة ٨٠٦هـ وأنه غرق المركب الذي كان فيه، وغرق جميع ما كان فيه من الأمتعة والنقد والكتب، ونجا هو من الغرق ونزل ببعض الجزائر، وكان من جملة الكتب التي غرقت ما هو بخطه: أطراف المزي، وأطراف مسند أحمد، وأطراف المختارة، كلاهما من تصنيفه، وكذا ترتيب كل من مسند

مـج٣/ ص١٠٢٩). يحيـى وهيـب الجبـوري (١٩٩٨، ص٣١٦). رضـا سـعيد (٢٠٠٩، ص١٥٢).

(١) ابن هشام (د.ت، ج١/ ص٣)

(٢) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٢٨).

الطيالسي، ومسند عبد بن حميد، وذكر السخاوي أيضًا أن ابن حجر كان يحكي عن بعض رفقته ويسميه أنه دخل عليه مرة فصار يستعرض كتبه ويتعجب من كثرة ما فيها بخطه، قال: والظاهر أن غرقها كان من إصابته فلله الأمر، وهو المحمود على كل حال.[١]

ومما يذكر؛ أن الطبيب الفارسي اليمني محمد بن صالح الجيلاني (ت. ١٠٨٨هـ)، ركب البحر يريد الحج، فانكسر المركب، فنجا بنفسه وغرقت ثروته وكتبه.[٢]

ولعل من أكبر الكوارث التي حلّت بالكتاب في القرون المتأخرة غرق سفينتين محملتين بالكتب العربية والشرقية، فقد كان السمعاني اللبناني (ت.١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) وهو من المشارقة الذين نالوا قصب السبق في أعظم عواصم أوربا، وترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية، يعمل في مكتبة الفاتيكان، يستخرج خلاصة ما فيها ويهذب الكتب الدينية الشرقية، فأظهر اقتدارًا في الآداب الشرقية، فكلفه البابا أن يذهب إلى الشرق ينقب فيه عن الكتب والمخطوطات ويحملها إلى رومية، ففعل وتفقد ديور[٣] الشرق في مصر وسورية والعراق، وحمل ما وصلت إليه يده من الكتب الفلسفية واللاهوتية والتاريخية وغيرها مما لا تعرف قيمته، يقال إنه حملها في ثلاث سفن، ومن جملتها كتب قبطية وعربية من ديور القطر المصري، فغرق

---

(١) السخاوي (١٩٩٩، ج١/ ص١٥١).

(٢) الزركلي (١٩٨٠، ج٦/ ص١٦٣). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٧).

(٣) جمع دَيْرُ: وهو دَارُ الرُّهْبانِ والرَّاهِبات.

منها اثنان، وكانت السفينة الباقية وحدها كافية لإعجاب أهل الفاتيكان.[١]

(١) جُرجي زيدان (٢٠١٣، ص١١١٧ – ١١١٨). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٧).

ثانيًا: الماء أداة للإتلاف

لا يمكن الفصل بين الماء والحضارة، لقد نشأت وتطورت حضارات السومريين والبابليين والفينيقيين والمصريين القدماء في وديان الأنهار العظمى، لما للماء من عوامل جذب سواء للفرد أو الجماعة، وما يترتب على ذلك من قيام نظام إداري يحكمهم، وموارد اقتصادية تكون مادة أولية لقيام الصناعة والزراعة والتجارة. ومن منطلق أن الماء أساسًا لقيام الحضارات الإنسانية ومنها العربية الإسلامية، فبديهيًا أن يكون عنصرًا فاعلاً في جميع جوانبها المختلفة لا سيما العلمية الفكرية، من ناحية جعله أداة مؤثرة في مصائر الكتب العربية الإسلامية.(١)

لقد كثرت حوادث غسل وإغراق الكتب بالماء مجتمعة أو منفردة، وكما للنار فعلها التطهيري، فللماء أيضًا دوره التطهيري، إذ يتصل به إزالة النجس والرجس في معظم الثقافات، ومما يلفت الانتباه، أن حوادث غسل وإغراق الكتب كانت أقل صرامة كونها لا تعبر عن غضبة شديد تستغل فيها النار كأداة للإتلاف، فالماء يتميز بكونه الحل الأقل خطورة، والأقل تعبيرًا عن الغضب المنبثق بدافع واحد لا يحتمل إيقافه، ومن هنا تعددت حالات الإتلاف الفردية به في التراث العربي، وتكررت المواقف المرسخة للماء كأداة إتلاف بمضامين متقاربة وأشكال أكثر تقاربًا.(٢)

ونظرًا لأن التطهير بالنار أقوى وأكثر عنفًا من التطهير بالماء، فالكتاب

---

(١) راجع: فيديريكو مايور (١٩٩٧، ص٣٦). أسامة محمد الحسيني (٢٠١٣، ص١١). سياب خيرة (٢٠١٤، ص٨). عقيل عبد الله ياسين (٢٠١٦، ص١٤٩).

(٢) معجب سعيد العدواني (٢٠١٣، ص٢٤، ص٢٦).

المغسول والمغرّق أكثر قربًا إلى صاحبه من غيره، بينما كان الكتاب المحروق نتيجة صراع أكثر حدة، وإن حدث من صاحبه فهو أشد بعدًا عنه، وربما استند صاحب الكتاب في ذلك إلى مقابلة الماء للنار، ويعني غسل وإغراق الكتاب إيمانًا مضمنًا من الفاعل بأهمية هذا المغيب، فكما الماء مصدر الحياة، فالكتاب مصدر المعرفة، ومركز التجدد والانبعاث، وليبدو الماء أفضل الحلول لإتلاف الكتب.[١]

١/٢-غَسْل الكتب

المقصود بـ "غَسْل الكتاب" هو أن يأخذ أحدهم كتابًا فيغمسه في إناء مملوء بالماء حتى يذوب ويُمحى ما كُتب فيه من حروف وكلمات.[٢] وغَسْلُ الكتابة، أسلوب آخر من أساليب إبادة الكتب وإتلافها، وذلك أن بعض الناس كانوا يعدمون مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم، فيغسلون كتابتها، بأن يضعوا الكتب أو الأوراق المخطوطة في الماء مدة من الزمن، فينحل حبرها، وتطمس كتابتها وتشوش معالمها، وذلك للتخلص مما فيها من أقوال وآراء لا يُرغب في الإبقاء عليها ولا في الاحتفاظ بها.[٣]

والأخبار التي وقفنا عليها في موضوع غسل الكتابة والكتب كثيرة مختلفة، بلغت سبع وعشرين حالة خلال الفترة من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري، موزعة على غسل المؤلفين لمؤلفاتهم وكتبهم بدافع من أنفسهم وعددهم سبعة عشرة هم: الشافعي (ت.٢٠٤هـ)، النامى الدرامي (ت. ٣٧٠هـ)، محمد بن

(١) معجب سعيد العدواني (٢٠١٣، ص٢٧).

(٢) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٧).

(٣) كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٦). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٨).

علي التنوخي (ت. ق٤هـ)، علي بن عيسى الربعي (ت.٤٢٠هـ)، علي بن طلحة بن كردان (ت.٤٢٤هـ)، محمد بن علي بن المطلب (ت.٤٧٨هـ)، عاصم بن الحسن الكرخي (ت.٤٨٣هـ)، أبو غالب الذهلي (ت.٥٠٧هـ)، أبو بكر محمد المروزي (ت.٥١٠هـ)، أبو إسحاق الغزي (ت. ٥٢٤هـ)، أبو طالب الكرخي (ت.٥٨٥هـ)، شميم الحلي (ت.٦٠١هـ)، النووي (ت.٦٧٦هـ)، القفطي (ت.٦٩٧هـ)، صدر الدين بن الوكيل (ت. ٧١٦هـ)، ابن أبي السعود (ت.٨٧٠هـ)، السيوطي (ت.٩١١هـ)، أوصوا بغسل مؤلفاته شعبة بن الحجاج (ت.١٦٠هـ). وتسع حالات استعملت السلطة فيها الماء في إتلاف الكتب وهي: عبدُ الله بن مسعود (ت.٣٢هـ)، أبو موسى الأشعري (ت.٤٤هـ)، الخليفة علي بن يوسف الموحدي (ق٦هـ)، ابن تيمية الحراني (ت.٧٢٨هـ)، تقي الدين السبكي (ت.٧٥٦هـ)، علي بن ميمون (ق١٠هـ)، مدائح ابن هبيرة (ت.٥٦٠هـ)، كتاب نقض القرآن (ق٧هـ)، كتاب فصوص الحكم (٧٤٤هـ).

(١/٢)١-غسل المؤلف لكتبه بنفسه

وقد أتلف بعض الفقهاء مؤلفاتهم أو بعضها لأنهم رجعوا عما كتبوه فيها؛ ومنهم مَنْ أتلفها لوجود أخطاء علمية بها، مثل الشافعي (ت.٢٠٤هـ)، وهو "محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الشافعي، "ولد بالشام بغزة وقيل باليمن، وحمل إلى مكة فسكنها، وتردد على الحجاز والعراق وغيرهما ثم استوطن مصر وتوفي بها...، كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان فصيح وعقل رصين صحيح...، قال أحمد بن حنبل: كان الشافعي أفقه الناس في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان للعلم كالشمس للدنيا والعافية

للناس".[١] "قلت (أي النووي) ليس القول القديم مذهبًا له (أي للشافعي) فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها، هكذا نقل عنه أصحابه"،[٢] وقال فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي: "هذا في القديم، وليس القول القديم مذهبًا، فإنه غسل كتبه القديمة، وأشهد على نفسه بالرجوع عنها".[٣] وقد أتلف الشافعي كتبه القديمة لأنها كانت أقل إحكامًا، فرجع عنها، يدل على ذلك إجابة الإمام أحمد بن حنبل حينما سأله أحد طلابه عن كتب الشافعي القديمة، "أحمد ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أهي أحب إليك، أو التي في مصر؟ قال: عليك بالكتب التي عملها في مصر، فإنه وضع هذه الكتب في العراق ولم يحكمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك".[٤]

وقد دفع الغضب بعض الشعراء إلى غسل قصائدهم، مثلما فعل النامى الدرامي (ت. ٣٧٠هـ)، هو أحمد بن محمد أبو العباس النامي الدرامي المصيصي قال الثعالبي في اليتيمة: "شاعر من فحولة شعراء العصر، وخواص شعراء سيف الدولة، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة".[٥] وقال ابن العديم: "... شاعر مجيد من شعراء سيف الدولة... وكان فاضلاً أديبًا عارفًا بالأدب واللغة، وقفت له على أمالي أملاها يحلب روى فيها عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وابن

(١) ابن فرحون (١٩٩٦، ج٢/ ص١٥٦ – ١٥٨).
(٢) العيني (١٩٨٠، ج١٦/ ص٤٩٠).
(٣) الزيلعي (١٩٩٣، ج٤/ ص١٤٢).
(٤) الذهبي (١٩٩٣، ج١٠/ ص٥٥).
(٥) الثعالبي (١٩٨٣، ج١/ ص٢٧٩). ابن العديم (١٩٨٨، ج٣/ ص١٠٨٤).

دستورية، وأبي عبد الله الكرماني، وأبي بكر الصولي وإبراهيم بن عبد الرحيم العروضي... وروى عنه: أبو القاسم الحسين بن علي بن أبي أسامة الحلبي، وأبو الفرج الببغاء، وأبو الخطاب بن عون الحريري، وأبو بكر الخالدي، والقاضي أبو طاهر بن جعفر الهاشمي الحلبي...".[١]

قال ابن العديم: "قرأت في كتاب (أدب الخواص) تأليف الوزير أبي القاسم الحسين بن علي الحسين بن المغربي قال: وأنشدنا يومًا (يعنى سيف الدولة)... – في مجلسه القافية التي أولها: (إن الخليط أجد البين فانفرقا) يعنى من شعر زهير بن أبي سلمى، فأبدى استحسانًا لها، فقال له النامي المصيصي أبو العباس أحمد بن محمد الدرامي: أراك كلفا بها، أفتحب أن أمدحك بخير منها؟ قال: نعم أشد الحب فلما كان بعد أيام لقيه راكبًا على نهر حلب المسمى قويق، قال: فترجل ووقف عليه سيف الدولة، وأخذ ينشد قصيدة في غاية الحسن أولها: (ما أنت منى ولا الطيف الذي طرقا رد الكرى واسترد منى الأرقا) فأراد سيف الدولة كياده والعبث به، فأعرض عنه وأظهر استنقاصًا لشعره، فقطع الإنشاد في وسط القصيدة، وركب ومضى – وسيف الدولة يراه– إلى الشاطئ فخرقها وغسلها، فاحتمله سيف الدولة، ولم ينكر ما كان منه، ودرست آثار هذه القصيدة فليس توجد في ديوانه".[٢]

ومن المشهورين بعلم النجوم من المسلمين، وبمعرفتها، وصحة الحكم فيها محمد بن علي التنوخي والد مصنف "نشوار المحاضرة"، فقال ولده (القاضي أبي عليّ، المحسّن التنوخيّ ت.٣٨٤هـ) في الجزء "الأول" من كتابه المذكور، مما

---

(١) ابن العديم (١٩٨٨، ج٣/ ص١٠٨٣ – ١٠٨٤).

(٢) ابن العديم (١٩٨٨، ج٣/ ص١٠٨٧). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٧٧ – ٧٨).

شاهده من صحة أحكام النجوم "وهذا بعيد دقيق، ولكن فيما قد شاهدته من بعض صحة أحكام النجوم، كفاية. هذا أبي حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها، فقال لنا: هي سنة قطع على مذهب المنجمين، وكتب بذلك إلى بغداد، إلى أبي الحسن بن البهلول القاضي ينعي نفسه إليه، ويوصيه. فلما اعتل أدنى علة، وقبل أن تستحكم علته، أخرج التحويل، ونظر فيه طويلاً، وأنا حاضر، فبكى، وأطبقه، واستدعى كاتبه، وأملى عليه وصيته التي مات عنها، وأشهد فيها من يومه. فجاءه أبو القاسم غلام زحل المنجم، فأخذ يطيب نفسه، ويورد عليه شكوكًا. فقال: يا أبا القاسم، لست ممَنْ يخفى هذا عليه، فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممَنْ يجوز عليه هذا فتستغفلني، وجلس فـ وافقه على الموضع الذي خافه، وأنا حاضر. ثم قال له أبي: دعني من هذا، بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر، لسبع بقين من الشهر، فإنه ساعة قطع عندهم؟ فأمسك أبو القاسم ولم يجبه، واستحيى منه أن يقول نعم، وبكى أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادمًا لأبي. وبكى أبي طويلاً، ثم قال: يا غلام الطست، فجاءه به، فغسل التحويل وقطعه، وودع أبا القاسم توديع مفارق. فلما كان في ذلك اليوم، العصر بعينه، مات، كما قال".[١]

ومن النحاة مَنْ ضن بمؤلفاته على غيره، فغسل الكتب ومحاها بالماء بسبب تماديه في الغصب ووقوعه في العصبية المقيتة، وهذا ما فعله علي بن عيسى الربعي (ت.٤٢٠هـ)، "علي بن عيسى الربعي بن الفرج بن صالح الربعي الزهيري، أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيدي النظر، الدقيق الفهم

(١) التنوخي (١٩٢١، ج١/ ص٢٦٩). ابن طاووس (د.ت، ص٨٦). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٤٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٩ – ٤٠).

والقياس".[١] صنَّف تصانيف كثيرة، منها "كتاب شرح سيبويه، إلا أنه غسله"،[٢] ومبرر ذلك الضن به على مَنْ لا يستحقه؛ يؤكد ذلك "أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة، فقام مغضبًا وأخذ شرح سيبويه، وجعله في إجَّانة،[٣] وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان، ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة"،[٤] مؤكدًا أن أمثال هؤلاء لا يستحقون كتبه،[٥] وهو من أطرف ما جاء في إتلاف الكتب.

أما علي بن طلحة بن كردان (ت.٤٢٤هـ)، فقد ضن بمؤلفاته على غيره، وهو "علي بن طلحة بن كردان النحوي، أبو القاسم، قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناني، ولم يبع قط الصحناة،[٦] وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك، فغلب عليه،... والواسطيون يفضلونه على ابن جني والربعي"،[٧] هذا الشيخ النحوي "صنف كتابًا كبيرًا في إعراب القرآن، كان يقارب خمسة عشر

(١) الصفدي (٢٠٠٠، ج٦/ ص٤٧٧). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٠١).
(٢) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص١٠٤).
(٣) الإجَّانة: إناء تُغسل فيه الثياب.
(٤) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص١٠٤). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٢ – ١١٣). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٤٠). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٨ – ٣١٩). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٠).
(٥) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١١٣).
(٦) سمك صغير مملح.
(٧) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٨٢). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٠٠).

مجلدًا، ثم بدا له فيه، فغسله قبل موته"،[١] وجملة "ثم بدا له فيه" قد تعني أنه رجع عن بعض الأشياء فيه، فأتلفه، وقد كان كتابًا في إعراب القرآن، فلو رجع عن إعراب كلمة أو اثنتين أو عشرين كان يمكنه إصلاحها، ولكن يبدو أن جملة "ثم بدا له فيه" تعني تغيير رأيه من ترك الكتاب لقومه إلى إتلافه؛ ويؤيد ذلك ما حدث في بداية حياته من إطلاق أعدائه عليه لقبًا لا يحبه، ومن إشارته إلى الموازين المقلوبة بمجتمعه، ووصفه بلده بأنها شر البلاد؛[٢] في قوله:

سئم الأديب من المقام بواسط إن الأديب بواسط مهجور

يا بلدة فيها الغنى مكرم والعلم فيها ميت مقبور

لا جادك الغيث الهطول ولا جتلى فيك الربيع ولا علاك حبور

شر البلاد أرى فعالك ساترًا عني الجميل وشرك المشهور".[٣]

ولهجة النقمة على بلده وعلى ساكنيها واضحة في هذه الأبيات، فهو يرى أنها لا تعترف له بجميل، فبدا له أنهم لا يستحقون كتابه فغسله قبل موته، فلمَنْ يترك كتابه إذا كان العلم بينهم ميتًا ومقبورًا؟

ومن أسباب غسل العلماء كتبهم، الرجوع عما فيها والتوبة منها، وقد فعل ذلك محمد بن علي بن المطلب (ت.٤٧٨هـ)، وهو "محمد بن علي بن المطلب، أبو

---

(١) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٨٢). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٠). عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٤).

(٢) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١١٤).

(٣) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٨٢).

سعد، كان قد قرأ النحو واللغة والسير والآداب وأخبار الأوائل وقال شعرًا كثيرًا"،[١] وهو "الأديب الأوحد، الكرماني، ثم البغدادي، الشاعر، والد الوزير الصاحب أبي المعالي هبة الله بن المطلب"،[٢] إلا أنه ترك قول الشعر رجوعًا عنه وتوبة منه، "وقال شعرًا كثيرًا، إلا أنه كان كثير الهجوم، ثم مال عن ذلك، وأكثر الصوم والصلاة والصدقة وروى الحديث...، وغسل مسودات شعره، وأحرق بعضها بالنار"،[٣] و"قال هبة الله السقطي: أخذت عنه، ثم تاب، وألهم الصلاة والصوم والصدقة، وغسل مسودات شعره، رحمه الله".[٤]

أما الشاعر المشهور عاصم بن الحسن الكرخي (ت.٤٨٣هـ)، فهو عاصم بن الحسن بن محمد العاصمي البغدادي أبو الحسين الكرخي، "الشيخ العالم الصادق الأديب، مسند بغداد في وقته"، قال السمعاني: "سألت أبا سعد البغدادي عن عاصم بن الحسن، فقال: كان شيخًا متقنًا أديبًا فاضلاً، كان حفاظ بغداد يكتبون عنه، ويشهدون بصحة سماعه". ويصف ابن الجوزي عاصمًا فيقول: "من مُلاَّح البغداديين وظرفائهم، له الأشعار الرائعة المستحسنة، وكان من أهل الفضل والأدب".[٥] ويذكر أنه مرض في أواخر عمره فغسل ديوان شعره.[٦]

---

(١) ابن الجوزي (١٣٥٨هـ، ج٩/ ص٢٤). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١١٧).

(٢) الذهبي (١٩٩٣، ج١/ ص٤٩٠).

(٣) ابن الجوزي (١٣٥٨هـ، ج٩/ ص٢٤). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٧). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٩). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٠ – ٤١).

(٤) الذهبي (١٩٩٣، ج١/ ص٤٩١).

(٥) محمد بن زين العابدين رستم (٢٠١١، ص٦٦). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٩٣).

(٦) اليافعي (١٩٧٠، ج٣/ ص١٣٤). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١).

وكذلك فعل أبو غالب الذهلي (ت.٥٠٧هـ)، وهو "شجاع بن فارس بن حسين بن فارس بن حسين بن غريب بن بشير، الإمام المحدث، الثقة الحافظ المفيد، أبو غالب الذهلي، السهروردي، ثم البغدادي الحريمي"،[١] و"كان يورق للناس"،[٢] و"نسخ بخطه كثيرًا من التفسير والحديث والفقه ما لم ينسخه أحد الوراقين"،[٣] "وكان مفيد أهل بغداد، والمرجوع إليه في معرفة الشيوخ وأحوالهم بعد الخطيب أبي بكر، وكان ثبتًا ثقةً أمينًا فهمًا أديبًا"،[٤] و"نسخ ما لا يدخل تحت الحصر من التفسير والحديث والفقه للناس، حتى إنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات"،[٥] وقد ندم على ذلك، وأراد التوبة، "قال عبد الوهاب الأنماطي: دخلت يومًا (أي على أبي غالب الذهلي)، فقال لي: توبني، فقلت: من أي شيء؟ قال: كتبت شعر بن الحجاج بخطي سبع مرات"،[٦] ويبدو أن شيخه أفتاه بإتلاف ما كتب من الشعر، فأتلفه فعلاً، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك وأتلف كتبًا أخرى ألفها؛ فلقد "عمل مسودة لتاريخ بغداد ذيلاً على تاريخ الخطيب، فغسله في مرض موته"،[٧] و"شرع

(١) الذهبي (١٩٩٣، ج١٩/ ص٣٥٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٨٩).
(٢) ابن الجوزي (١٣٥٨هـ، ج٩/ ص١٧٦).
(٣) الذهبي (١٩٩٨، ج٤/ ص٢٧).
(٤) البغدادي (١٤٠٨هـ، ج١/ ص٢٩٨).
(٥) ابن العماد (١٩٨٦، ج٤/ ص١٦).
(٦) الذهبي (١٩٩٨، ج٤/ ص٢٧).
(٧) الذهبي (١٩٩٣، ج١٩/ ص٣٥٦). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٤١). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١). عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٢).

في تتميم تاريخ الخطيب، ثم غسله، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة"،[١] فلعله فعل ذلك مبالغة في التوبة.

وذكر اليافعي في "مرآة الجنان"، أن أبو بكر محمد المروزي (ت.٥١٠هـ)، قام بغسل تصانيفه قبل وفاته، وهو "الحافظ أبو بكر محمد ابن الحافظ العلامة أبي المظفر منصور بن محمد التميمي المروزي والد الحافظ أبي سعد، كان محمد المذكور إماماً فاضلاً محدثًا فقيهًا شافعيًا، وله الإملاء الذي لم يسبق إلى مثله، تكلم على المتون والأسانيد، وأبان مشكلاته، وله عدة تصانيف وشعر غسله قبل موته".[٢]

وممَنْ أتلف كتبه توبةً وندمًا عما فيها أبو إسحاق الغزي (ت. ٥٢٤هـ)، وهو "إبراهيم بن عثمان بن محمد بن محمد، أبو إسحاق الغزي، من أهل غزة...، وكان أحد فضلاء الدهر، ومَنْ يضرب به المثل في صناعة الشعر، وكان له خاطر مستحسن، وشعر مليح...، وترك قول الشعر، وغسل كثيرًا منه، وقال في إيضاح مبررات إتلافه: قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة... باب البواعث والدواعي مغلق".[٣] وفي هذا البيت عبّر عن مبررات إتلافه لشعره، فلا باعث عليه، ولا فائدة فائدة منه، "وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني".[٤]

---

(١) ابن كثير (١٩٨٨، ج١٢/ ص٢١٧). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٩). نوفل محمد نوري (٢٠١٠، ص٣٥).

(٢) اليافعي (١٩٧٠، ج٣/ ص٢٩). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٢٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١).

(٣) ابن الجوزي (١٣٥٨هـ، ج١٠/ ص١٥).

(٤) ابن الجوزي (١٣٥٨هـ، ج١٠/ ص١٦).

ومن العلماء مَنْ كان يقوم بغسل كتبه بخلاً وضِنَّة، كما فعل أبو طالب الكرخي (ت.٥٨٥هـ)، وهو "الإمام الأوحد، شيخ الشافعية، وصاحب الخط المنسوب، أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكرخي،... كان إمام وقته في العلم والدين والزهد والورع، لازم ابن الخل حتى برع في المذهب والخلاف، وكان من الورع والزهد والعفة والنزاهة والسمت على طريقة اشتهر بها، وكان أكتب أهل زمانه لطريقة ابن البواب"،(١) إلا أنه "كان ضنينًا بخطه جدًا، فلذلك قل وجوده".(٢) وضنه بخطه كان السبب وراء إتلافه لتجويدات ما كُتب؛ "فكان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويغسله".(٣)

وممَنْ غسل مؤلفاته لعدم جودتها، شميم الحلي (ت.٦٠١هـ)، وهو "علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي، أبو الحسن، النحوي، اللغوي، الشاعر، قدم بغداد، وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر،... مات بالموصل عن سن عالية".(٤) و"قال أبو شامة: كان قليل الدين، ذا حماقة ورقاعة"،(٥) و"كان ذا تيه وحمق ودعاوٍ كثيرة تزري بكثرة فضائله...، وكان جم الفضيلة، إلا أنه كان بذيء اللسان، كثير الوقوع في الناس، متعرضًا لثلب

(١) الذهبي (١٩٩٣، ج٢١/ ص٢٢٤ – ٢٢٥).
(٢) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٢٨٦). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨).
(٣) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٢٨٦). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٣). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٩). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١).
(٤) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٤٣).
(٥) الزركلي (٢٠٠٢، ج٤/ ص٢٧٤).

أعراضهم، لا يثبت لأحد في الفضل شيئًا".[1] قال ياقوت الحموي: "وكان من العلم بمكان مكين، واعتلق من حباله بركن ركين، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزنًا، ولا يعتقد لأحد فضيلة، ولا يقر لأحد بإحسان في شيء من العلوم، فحضرت عنده وسمعت من لفظه ازدراءه على أولي الفضل، وتنديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل، فلما أبرمني وأضجر، وامتد في غيه وأصحر، قلت له: أما كان فيمَنْ تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟ فقال: لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي ونسبتها إلي. والثاني ابن نباتة في خطبه، وإن كانت خطبي أحسن منها، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر. والثالث ابن الحريري في مقاماته. قلت: فما منعك أن تسلك طريقته وتنشئ مقامات تخمد بها جمرته وتملك بها دولته؟ فقال: يا بني، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات، ثم أتأملها فأسترذلها، فأعمد إلى البركة فأغسلها"،[2] فكان إتلافه لمقاماته لعدم رضاه عن جودتها.

بعض المؤلفين غسلوا كتبهم بعد أن أدوا ما فيها إلى تلاميذهم، فلم يروا بأسًا في إتلافها، خوفًا من تحريفها بعد موتهم. قال الذهبي: "هذا قد فعله غير واحد بالغسل، وبالحرق، وبالدفن، خوفًا من أن تقع في يد إنسان واهٍ، يزيد فيها أو

---

(١) ابن العماد (١٩٨٦، ج٥/ ص٤).

(٢) ياقوت الحموي (١٩٩١، ج٢/ ص٢٦٣). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٢). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨ – ٣٩). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٩ – ٣٢٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١).

يغيرها"،[١] ولم يذم أو يقدح مَنْ فعل ذلك من العلماء، بل التمس لهم العذر، بقوله: "كل مَنْ حاقق نفسه في صحة نيته في طلب العلم يخاف من مثل هذا، ويود أن ينجو كفافًا"، أي يخاف من أن تُحرَّف كتبه بعد موته، فيتحمل هو أوزار تحريفها".[٢]

ولهذا السبب أتلف كتبه النووي (ت.٦٧٦هـ)، وهو "أبو زكريا، يحيى بن الشيخ الزاهد الورع ولى الله أبى يحيى شرف بن مري، بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام، ذو التصانيف المفيدة، والمؤلفات الحميدة، أوحد دهره وفريد عصره، الصوام، القوام، الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة".[٣] "جاء في ترجمته أنه إذا أملى اللوح على تلاميذه غمسه في الماء، ثم كتب غيره"،[٤] فلعله يرى أنه قد أدى ما عليه، بإملائه ما في اللوح لتلاميذه، فلا داعي لتركها حتى لا يحرفها أحد بعد موته. قال عنه تلميذه ابن العطار، لقد أمرني الإمام النووي ببيع كراريس نحو ألف كراس بخطه، وأمرني بأن أقف على غسلها في الوراقة، وخوفني إن خالفت أمره في ذلك فما أمكنني إلا طاعته، وإلى الآن في قلبي منها حسرات.[٥]

ومن العلماء مَنْ كان يغسل بعض الكتب لعدم صحة مضامينها، فقد غسل

---

(١) الذهبي (١٩٩٣، ج٧/ ص٢١٣).

(٢) الذهبي (١٩٩٣، ج٧/ ص٢١٣).

(٣) ابن العطار (٢٠٠٧، ج١/ ص٣).

(٤) أحمد بن عبد الله الباتلي (٢٠٠٢، ص٤١).

(٥) عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٤).

الشيخ بهاء الدين هبة الله بن سيد الكل القفطي (ت.٦٩٧هـ) ما كتبه من شعر أملاه عليه الأديب الشاعر المحدث محمد بن محمد بن عيسى النصيبي القوصي (ت.٧٠٧ هـ) لأنه مكذوب، قال الأُدفُوي: "حضر مرة الشيخ بهاء الدين القفطي من أسنا، فتوجه النصيبي إليه، وعرّفوا الشيخ أنه فاضل، فصار يسأله عن لغة، فيذكر شيئًا من عنده ويستشهد عليه بشعره، فيكتب الشيخ ما يقوله، إلى أن اجتمعت عنده كراريس، فلما قصد الشيخ التوجه، جاء إليه وقال: يا سيدنا لا تعتمد على هذه الكراريس فإني ارتجلتها، فشقّ على الشيخ وغسلها".(١)

وقد غسل بعض العلماء كتبهم، ومحوها بالماء، ورعًا وتبرؤًا من مضامينها، وخوفًا من أن يضل الناس بقراءتها، فكان إتلافها بالغسل هو السبيل الأمثل للتخلص من تبعاتها والسلامة من آثامها،(٢) وممَنْ فعل ذلك صدر الدين بن الوكيل (ت. ٧١٦هـ)، وهو "محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد بن عطية أحمد الأموي، صدر الدين بن الوكيل...، ولد بدمياط وقيل بأشمون...، تفقه بأبيه...، وتقدم في الفنون، وفاق الأقران وقال الشعر فلم يتقدمه فيه أحد من أبناء جنسه وأتى فيه بالمرقص والمطرب".(٣) وقال الصفدي: "وكان فيه لعب ولهو، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة ممَنْ صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قماشًا نظيفًا وصلى وبكى ومرّغ وجهه على الأرض

(١) الأُدفُوي (١٩٦٦، ص٦٢٢). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٩). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢١). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٢).

(٢) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١).

(٣) ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢، ج٢/ ص٥٦ – ٦٠). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٢٢).

والتراب، وبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، واستغفر وسأل الله التوبة والمغفرة...، وكان إذا مرض غسل ديوانه"،[١] ويبدو أنه كان يفعل ذلك رجوعًا عما كتبه من باب التوبة، لإحساسه بأن شعره يتنافى مع الإسلام ويبعده عن رضا الله عنه.

أما ابن أبي السعود (ت.٨٧٠هـ)، فهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن علي الشهاب أبو العباس بن الشيخ أبي السعود المنوفي ثم القاهري الشافعي السعودي، نزيل القاهرة، ولد في شوال سنة (٨١٤هـ) في منوف العليا. حفظ القرآن صغيرًا، واكب على طلب العلم مبكرًا، فحفظ المتون وأخذ عن علماء عصره، وتقدم معاصريه في الفرائض والحساب وتعاني الأدب فبرع فيه وساد وطارح الشعراء، وقال الشعر الجيد والنثر البديع المفرد، وأشتهر أسمه وبعد صيته في ذلك.[٢]

وجاء في ترجمة ابن أبي السعود، قول السخاوي (ت.٩٠٢هـ): "وأعرض بأخرة عن تعاطي الشعر، بل غسل جميع ما كان عنده من نظم ونثر، بحيث لم يتأخر منه إلا ما كان برز قبل، ويقال إن ذلك لم يكن عن قصد، وإنما اتفق أنه جمع أوراق نظمه، ثم أفرد منها ما لا يرتضيه ليغسله ففاجأه بعض أصحابه فقام لتلقيه، وأمر بعض مَنْ كان عنده بغسل الأوراق التي عن يمين مجلسه، فاشتبه

(١) الصفدي (١٩٩٨، ج٢/ ص٣٧٣). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٦ – ٣٧). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢١). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٢).

(٢) ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٧٢).

الأمر عليه بحيث غسل ما كان يحب بقاءه، فلما عاد سقط في يده وغسل الباقي، وأكثر حينئذ من النظر في الفقه والمداومة على الاشتغال به".[١]

وقد غسل بعض علماء الدين مؤلفاتهم رجوعًا عما فيها، ومن هؤلاء السيوطي (ت.٩١١هـ)، وهو "جلال الدين، أبو الفضل، عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن ساق الدين، السيوطي، الشافعي، المسند، المحقق، المدقق، صاحب المؤلفات الفائقة النافعة...، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه، رجالاً وغريبًا ومتنًا وسندًا واستنباطًا للأحكام منه"،[٢] يقول عن نفسه: "ورُزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع"،[٣] ثم يقول بعد ذلك "وشرعت في التصنيف في سنة ست وستين، وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتابًا سوى ما غسلته ورجعت عنه".[٤]

٢(١/٢) –وصية المؤلف بغسل كتبه

لقد أتلف بعض المؤلفين كتبهم بدافع الخوف عليها بعد مماتهم من أن تقع في يد شخص ليس من أهل العلم فيزيد فيها وينقص، وينسب ذلك إليهم. ولمثل ذلك أشار الخطيب البغدادي، بقوله: "وكان غير واحد من المتقدمين إذا حضرته الوفاة أتلف كتبه أو أوصى بإتلافها، خوفًا من أن تصير إلى مَنْ ليس من أهل العلم، فلا يعرف أحكامها، ويحمل ما فيها على ظاهره، وربما زاد فيها ونقص،

(١) عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٤). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٣).
(٢) السيوطي (٢٠٠٦، ج١/ ص٤٧ – ٤٩).
(٣) السيوطي (٢٠٠٧، ج١/ ص١١٠).
(٤) السيوطي (٢٠٠٧، ج١/ ص١١١). مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص٩٤).

فيكون ذلك منسوبًا إلى كاتبها في الأصل، وهذا كله وما أشبهه قد نقل عن المتقدمين الاحتراس منه".[١] وأضاف ابن حجر العسقلاني بُعدًا آخر لذلك المبرر، هو أن هؤلاء العلماء أتلفوا كتبهم لأنهم يرون عدم جواز رواية كتبهم بالوجادة،[٢] بل يرون أن مَنْ فعل ذلك وجب تضعيفه. و"سئل ابن حجر عن قوم أتلفوا كتبهم "فقال: لم يكونوا يرون أنه لا يجوز لأحد روايتها لا بالإجازة ولا بالوجادة، بل يرون أنه إذا رواها أحد بالوجادة يضعف، فرأوا أن مفسدة إتلافها أخف من مفسدة تضعيف بسببهم".[٣]

ولهذا المبرر أوصى بإتلاف كتبه شعبة بن الحجاج (ت.١٦٠هـ)، "شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام، من أئمة رجال الحديث حفظًا ودراية وتثبتًا، ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي، وهو أول مَنْ فتش في العراق عن أمر المحدثين، وجانب الضعفاء والمتروكين، قال الإمام أحمد: هو أمة وحده في هذا الشأن، وقال الشافعي: لولا شعبة ما عُرف الحديث في العراق. وكان عالمًا بالأدب والشعر"،[٤] وقد أوصى أبنه أن يتلف كتبه بعد موته؛ "قال سعد بن شعبة (ت.٢١٩هـ): قال لي أبي: يا بني، إذا أنا مت فاغسل كتبي وادفنها، فلما مات غسلت كتبه ودفنتها"،[٥] ومبرر ذلك أنه قد أدى

---

(١) الخطيب البغدادي (١٩٧٤، ج١/ ص٦١).

(٢) الْوِجَادَةُ (في اصطلاح المحدِّثين): اسمٌ لما أُخذ من العلم من صَحيفةٍ، من غير سماعٍ ولا إجازة ولا مُناولة والجمع: وِجاد

(٣) حاجي خليفة (١٩٩٠، ج١/ ص٥٢).

(٤) خير الدين الزركلي (١٩٨٠، ج٣/ ص١٦٤). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٩١).

(٥) الخطيب البغدادي (١٩٧٤، ج١/ ص٦٢). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٩). يحيى وهيب

إلى طلابه كل العلم الذي في كتبه؛ "قال: كان سعد بن إبراهيم يكتب عني الحديث، ما بقي من حديثي شيء إلا كتبه عني"،[١] فبعد أن أدى ما في كتبه من علم، لم يجد بدًا من إتلافها، فلربما خشي عليها من التحريف والتصحيف بعد موته.[٢]

٣(١/٢)-غسل السلطة للكتب

كان خوف مضاهاة الكتب بالقرآن والاشتغال بها عنه باعثًا للمُحدَّثين لإتلاف الكتب، لاسيما وهي عرضة للخطأ والوهم والنسيان، وربما للوضع والكذب والبهتان، وغير ذلك من العوارض البشرية التي قلَّما يسلم منها إنسان، فقد اشتغل السابقون بآراء علمائهم عن الكتب المنزلة فضلوا.[٣] وكان من أشد الناس في ذلك ابن مسعود، فعن الأسود بن هلال (ت.٨٤هـ)،[٤] قال: "أُتِيَ عبدُ الله (ت.٣٢هـ) بصحيفة فيها حديث، فدعا بماء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأُحرقت" ثم قال:

الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٨). عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٠). محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٥٣).

(١) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٩/ ص٢٦٠).

(٢) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١٠٣).

(٣) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٣٨، ص٤٠).

(٤) راجع: ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤، ج١/ ص٣٤٢).

"إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وتركوا كتاب ربهم".[١]

وعبد الله هو ابن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي الإمام الحبر، فقيه الأمة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين.[٢] وفي قصة أخرى طريفة عنه، يروي الفقيه عبد الرحمن بن الأسود (ت.٩٨هـ)[٣] عن أبيه الأسود بن يزيد النخعي (ت.٧٥هـ)[٤] قال: "أصبت أنا وعلقمةُ (ت. ٦٢هـ) صحيفةً، فانطلق معي إلى ابن مسعود (ت.٣٢هـ) بها....، فقلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن، فقال: يا جارية هاتي بِطَسْتٍ واسكُبي فيه ماءً، فجعل يمحوها بيده، ويقول: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، فقلنا: انظر فيها، فإن فيها حديثًا عجيبًا، فجعل يمحوها، ويقول: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره".[٥]

ونطالع في تراجم بعض أئمة الحديث ظاهرة غسل الكتب بالماء، قال أبو بُرْدَةَ (ت. ١٠٤هـ)[٦] عن أبوه أبو موسى الأشعري (ت.٤٤هـ)،[٧] "كان أبو موسى موسى يحدثُنا بأحاديث، فقُمنا لنكتبها، فقال: أتكتبون ما سمعتم مني؟! قلنا نعم. قال: فجِيئُوني به، فدعا بماء فغسله، وقال: احفظوا عنا كما حفظنا!". وفي رواية قال: كَتبتُ عن أبي كتابًا كثيرًا، فقال: أتني بكُتبك، فأتيتهُ فغسلها. فقد أراد أبو

(١) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٤١ – ٤٢).
(٢) راجع: ابن حجر العسقلاني (١٣٢٨هـ، ج٧/ ص٢٠٩).
(٣) راجع: التميمي (١٩٥٢، ج٥/ ص٢٠٩). ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤، ج٦/ ص١٤٠),
(٤) راجع: الأَصْبَهَانِي (١٩٨٨، ج٢/ ص١٠٢– ١٠٥).
(٥) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٤٣).
(٦) راجع: التميمي (١٩٥٢، ج٦/ ص٣٢٥).
(٧) راجع: ابن عبد البر (١٩٧٨، ج٣/ ص٩٧٩). ابن الأثير (١٩٧٠، ج٣/ ص٣٦٧).

موسى أن لا يتكل ابنه على الكتاب، فيبطل حفظه، فأرشده إلى أن يحفظ كما كان يحفظ، وهذا منهج في التربية لا يشاح فيه. فقد كان بعض المحدثين يعتمد على الكتاب ليستعين به على الحفظ، زيادةً في الاحتياط والتوثيق، فإذا حفظه أتلف الكتاب.[١]

ومن أمثلة استعمال السلطة للماء في إتلاف الكتب، ما ذكره بعض المؤرخين من أمر الخليفة علي بن يوسف الموحدي بحل نسخة بالماء من كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت.٥٠٥هـ)، كان القاضي الفقيه، والرحَّالة الأديب أبو بكر ابن العربي المعافري (ت.٥٤٣هـ) قد جلبها من المشرق.[٢]

أما متاجر بيع الكتب، فكثيرة في بغداد وبالتحديد عند بوابة البصرة كان يوجد أكثر من مائة متجر، ولم تكن تخلو تلك المتاجر من المشترين بل كان يتردد إليها الناس على اختلاف طبقاتهم، فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم، ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد، هم زبون دائم عند بائع الكتب.[٣] لكن ليس ليس كل مَنْ يشتري كتبًا يُعَدّ مهتمًا بها أو محبًا لها، فربما كان الهدف من شرائه لها مخزيًا وحقيرًا. ومثال ذلك ما حدث لمدائح ابن هبيرة (ت.٥٦٠هـ)، وهو يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير العالم العادل صدر الوزراء، قال ابن الجوزي، كانت له معرفة حسنة بالنحو، واللغة، والعروض، وصنف في تلك العلوم، وكان متشددًا في

(١) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٢٨ –٣١).

(٢) محمد بن شريف (٢٠٠٢، ص١٠٠). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٢)

(٣) زيغريد هونكه (٢٠٠٠، ص٣٨٨، ٣٩٠). منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣، ص١٦ – ١٧).

اتباع السنة وسير السلف. وأخبار الوزير ومناقبه كثيرة جدًا، وقد مدحه الشعراء فكثروا. وقيل: إنه رزق من الشعراء ما لم يرزقه أحد، ومن أكابرهم: الحيص بيص، وابن بختيار الأبله، وابن التعاويذي، والعماد الكاتب، وأبو علي بن أبي قيراط، ومنصور النميري، وخلق كثير،[١] حتى قيل إن مدائح الوزير ابن هبيرة جمعت وكانت "ما يزيد على مئتي ألف قصيدة في مجلدات. فلما بيعت بعد موته اشتراها أحد خصومه فغسلها"،[٢] أي أتلفها حسدًا غير عابئ بما فيها من جمال اللغة والأدب، ولا ملتفت إلى ما قد تحمله من تاريخ وحضارة أو إبداع أو إنتاج.[٣]

الجدير بالذكر؛ أن بعض خزنة الكتب، كانوا يحرصون على تدمير الكتب احتسابًا لما يرون فيها من نشر الباطل، بوصفهم مراقبين لتلك المكتبات، وهذه المسألة توضح لنا مدى الخطورة في ضياع الكثير من تراثنا المفقود بهذه الطريقة المخيفة، ومن ذلك ما رواه ياقوت في معجم الأدباء، أن الأديب النحوي أبو بكر المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الوسطى المعروف بالوجيه (ت. ٦١٢هـ) حضر ذات يوم في دار الكتب التي برباط المأمونية (بغداد)،[٤] "وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعرّي، فَذَمُهُ الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأي شيء كان هذا

(١) عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٢٤١).

(٢) يوسف العش (١٩٩١، ص٢١٠).

(٣) منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣، ص١٧).

(٤) عن هذه الدار، راجع: كوركيس عواد (١٩٨٦، ص١٥٩ – ١٦٠). باسل طه، فارس محمود (٢٠١١، ص٤٨٤). خير الله سعيد (٢٠١١، مج٢/ ج٣، ج٤/ ص١٠٨)

الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن،[١] فقال له: أخطأت في غسله، فعجب الجماعةُ منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابنُ هبة الله وقال له: مثلك يَنْهَى عن مثل هذا؟ قال: نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيرًا منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيرًا منه وحاشَ لله أن يكونَ ذلك، فلا يجب أن يفرط في مثله، وإن كان دونه وذلك ما لا شكَّ فيه فَتَرْكُهُ معجزة للقرآن، فلا يجب التفريط فيه، فاستحسن الجماعةُ قوله، ووافقه ابنُ هبةِ الله على الحق وسكت".[٢]

هذه وجهة نظر سديدة أبداها الوجيه، وقد صحبها اعتراف بالحق أعظم منها سدادًا، وأجمل في النفوس موقعًا، لكن أين مَنْ يراجع اليوم نفسه مثل هذه المراجعة، ويقيس رأيه برأي غيره في مثل هذه الدقة؛ ثم يقتنع شاكرًا إن أخطأ، ويقنع متلطفًا إن أصاب؟.[٣] هذه الحادثة المعرفية تميّز بين العالم المتدين، وبين المتدين غير العالم، لذلك يبرز التفاوت العلمي عند الشخصين،[٤] وتتداخل في هذه الحكاية السردية أربعة أصوات؛ صوت الراوي الخارجي ياقوت الحموي، وصوت المبارك بن المبارك، وصوت هبة الله خازن المكتبة، وصت الجماعة.

---

(١) أو لعله كتاب "الفصول والغايات في معارضة السور والآيات". راجع: كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨/ هامش٣).

(٢) ياقوت الحموي (١٩٩٣، ج٥/ ص٢٢٦٦). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٢). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١ – ٤٢). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١). علاء الدين صادق الأعرجي (٢٠١٥، ص١٤٧).

(٣) محمود عزت عرفة (١٩٤٤، العدد ٥٨٦).

(٤) خير الله سعيد (٢٠١١، مج٢/ ج٣، ج٤/ ص١٦٦).

حين يعلو صوت الخازن هبة الله معترفًا بغسل الكتاب تدعمه الجماعة، ويقف الراوي سلبًا، منظرًا سير الحدث، ثم يظهر صوت المبارك الذي يلغي قيمة الغسل للكتاب ويفندها، تقف الأصوات كلها ضده، مع ملاحظة أن صوت الجماعة هنا يتمثل في جملة "وتغامزوا عليه"، يبدو التغامز غير فاعل ولكنه مؤثر.[١]

ومن العلماء الذين غسلوا كتب غيرهم لما فيها من الضلال، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت.٧٢٨هـ)، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة علي بن الحسن بن عبد الله بن الجابي (ت.٧٠١هـ) أنه كان خطيبًا فصيح التلاوة، وأنه كان قد أُغري بالكيمياء، وحصل فيها كتبًا كثيرة جدًا، وكان يزعم أنها صحّت معه. قال ابن الجزري: "كان صاحبي، وكان يعرف الكيمياء معرفة تامة، ولما مات، توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاشترى منها جملة وغسلها في الحال، وقال هذه الكتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم، فافتديتهم بما بذلته في ثمنها".[٢] ولا يخفى أن ما كان يصبو إليه الكيمياويون في الأزمنة القديمة، هو البحث عن الأكسير للتوصل به إلى استخراج الذهب من المعادن الخسيسة، وهو أمل برّاق خلاّب لم تحققه الأيام.[٣]

---

(١) معجب العدواني (٢٠١٥، ص٢٨).

(٢) ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢، ج٣/ ص٣٩). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢٠ – ٣٢١). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٢). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١ – ٣٢).

(٣) كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٧).

ذكر زين ين عمر بن المظفر بن الوردي (ت.٧٤٩هـ) في كتاب "تتمة الْمُخْتَصر فِي أَخْبَار الْبشر" والذي ذيل به على كتاب "الْمُخْتَصر فِي أَخْبَار الْبشر" المعروف بتاريخ أبي الفداء (ت.٧٣٢هـ) في حوادث سنة (٧٤٤هـ) واقعة تمزيق وغسل كتاب فصوص الحكم،[١] فقال: "وفيها مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب، عقب الدرس، وغسلناه، وهو من تصانيف ابن عربي، تنبيهًا على تحريم قنيته ومطالعته...".[٢]

من العلماء الذين برزوا في عصر المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ) تقي الدين السبكي (ت.٧٥٦هـ)، وهو الشَّيْخ الإِمَام الْفَقِيه الْمُحدث الْحَافِظ الْمُفَسّر الْمُقْرِئ الأصولي الْمُتَكَلّم النَّحْوِيّ، عَليّ بن عبد الْكَافِي بن عَليّ بن تَمام بن يُوسُف بن مُوسَى بن تَمام بْن حَامِد بن يحيى بن عمر بن عُثْمَان بن عَليّ بن مسوار بن سوار بْن سليم السُّبْكِيّ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع العلاّمة. وقد وقف العلامة تقي الدين السبكي على كتاب بعنوان "الطرائف في

(١) فصوص الحكم، كتاب يتكلم فيه مؤلفه ابن عربي (ت.٦٣٨هـ) عن الأسرار الإلهية الأكبر، ويعتبر من أهم كتب التصوف الإسلامي التي تتكلم على أسرار الأنبياء والرسل مبينة الحقائق الوجودية الثلاث: الله والكون والإنسان، وعلاقة الإنسان مع الكون ومع خالق الكون.

(٢) السخاوي (١٩٣٤، ج١/ ص٢٣١). كامل حسين الغزي (١٩٩٨، ج٣/ ص١٤٩). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٢).

معرفة الطوائف"، يتَضَمَّن الطعْن على دين الْإِسْلَام، لذا "أَخذه تقي الدَّين السبكي عِنْده وقطعه فِي اللَّيْل وغسله بِالْمَاء".[١]

لقد أتلف السبكي ذلك الكتاب سنة ٧٥٠هـ بصفته قاضي القضاة، فقد تبين أن مؤلف الكتاب هو السكاكيني (ت.٧٢١هـ) "محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم"،[٢] وجد بعد موته كتاب بخطه اسمه "الطرائف في معرفة الطوائف" فيه زندقة، وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري، وهذا الاسم لا وجود له، وقد شهد المعروفين من أهل الحديث في دمشق بأن هذا خط السكاكيني، يقول الصفدي "فقطع شيخنا قاضي القضاة هذا الكتاب الملعون وغسله".[٣] قال الشوكاني في البدر الطالع: "ومجرد كون الخط يشبه خطه في ذلك الكتاب لا يحل الجزم بأنه مصنفه لاحتمال أن الخط غير خطه، وعلى فرض أنه خطه، فقد يكون الواضع له غيره وكتبه بخطه".[٤]

أما ابن عِرَاقَ (ت.٩٣٣هـ)، فهو محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عِرَاقَ الدمشقي الشافعي، صوفي ولد في دمشق سنة ٨٧٨هـ، واشتغل بالصيد والشطرنج والنرد، ثم انقطع إلى العلم، وسلك طريق التصوف والزهد، وسكن بيروت، وحج

---

(١) العسقلاني (١٩٧٢، ج٥/ ص١٤٩). الشوكاني (١٩٢٩، ج٢/ ص١٥٢). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٩).

(٢) الزركلي (٢٠٠٢، ج٦/ ص٥٥).

(٣) الصفدي (١٩٩٨، ج٤/ ص٣٥٦ – ٣٥٧).

(٤) الشوكاني (١٩٢٩، ج٢/ ص١٥٢). محمد بن حسن بن عقيل موسى (١٩٩٥، ج١/ ص١٨٨).

وجاور الحرمين، وتوفي في مكة.[١] يقول الغزي: "... وألفَ سيدي محمد (ابن عِرَاقَ) في تلك المدة أربعة وعشرين كتابًا في طريق القوم (الصوفية)، فلما بلغ شيخه ذلك انقبض انقباضًا شديدًا، وتطور عليه، وعزم بسبب ذلك على السفر من حماة إلى دمشق، وكتب إلى بيروت لسيدي محمد لمَنْ يلقاه بالكتب إلى دمشق، فسافر سيدي محمد إلى دمشق، ونزل عند والدته، وأقام عندها أيامًا حتى قدم شيخه سيدي علي بن ميمون في سابع عشري رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٩١٣هـ)، ونزل بالصالحية، فسار إليه سيدي محمد، وتلقاه بالسلام والإكرام غير أنه استدعاه في ذلك المجلس، وقال له: يا خائن يا كذاب عن مَنْ أخذت هذا القيل والقال؟ فقال له سيدي محمد: يا سيدي فداك نفسي قد أتيناك بالموبقات، فافعل فيها ما تشاء، فغسلها سيدي علي".[٢]

فمن قواعد الصوفية ألا يقوم المريد بأي فعل من أفعال طريق القوم إلا بعد أن يأذن له شيخه، حتى أن بعضهم يستأذن شيخه في الحج، وابن عِرَاقَ في الرواية –السابقة الذكر– قد ألفَ هذه الكتب من غير أن يأخذ الإذن في تأليفها عن شيخه علي بن ميمون الغماري (ت.٩١٧هـ)، ولذا وجبَ تأديبه بإتلافها.[٣]

---

(١) العَيْدَرُوس (١٩٨٥، ج١/ ص١٧٤ – ١٧٧). عمر رضا كحالة (١٩٨٧، ج١١/ ص٢١ – ٢٢).

(٢) الغزي (١٩٩٧، ج١/ ص١٦٢ – ١٦٣). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٧ – ص٦٨).

(٣) ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٨/ هامش٣).

٢/٢ – إغراق الكتب

الإغراق (التغريق) المقصود به رمي الكتب في مجاري البحار أو الأنهار أو برك المياه، وهذا الأسلوب كثيرًا ما لجأ إليه المؤلفون، وقليلاً ما استعمله الحكام والفقهاء.[١] ووفقًا لحدود الدراسة أمكن حصر أربع عشرة حالة لإغراق الكتب والمكتبات بدءًا من القرن الثاني الهجري وحتى القرن الثاني عشر الهجري.

فقد أغرق عشرة مؤلفين مؤلفاتهم وكتبهم بدافع من أنفسهم، وهم: داود الطائي (ت.١٦٢هـ)، ومجاهد بن موسى (ت.٢٤٤هـ)، وأحمد بن أبي الحواري (ت.٢٤٦هـ)، وموسى بن هرون (ت.٢٩٤هـ)، وأبو بكر الشبلي (ت.٣٣٤هـ)، وأحمد بن محمد الخلال (ت٣٦٠هـ)، والصنهاجي (ت.٥٣٩هـ)، وإبراهيم بن الغرس (ت.٨٨٨هـ)، والزبيدي (ت.٩٣٠هـ)، والكردي (ت.١٠٠٣هـ). في حين أوصى واحد بإغراق مؤلفاته وهو الماوردي (ت.٤٥٠هـ)، وأغرقت من المكتبات الخاصة مكتبتان وهما؛ مكتبة الأمير مبشر بن فاتك (ت.٥٠٠هـ)، ومكتبة الشيخ عبد العزيز النجفي (ت.١١٨٠هـ)، وأغرقت واحدة من المكتبات العامة وهي مكتبة بغداد (٦٥٦هـ).

---

(١) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٧).

(٢/٢)١-إغراق المؤلف لكتبه بنفسه

إن المتصفح للمصادر التاريخية يجد أخبار عن لجوء بعض العلماء إلى رمي مصنفاتهم وكتبهم في البحار والأنهار، وذلك للتخلص منها،[١] ومن العلماء مَنْ أغرق كتبه أو محاها بالماء لاعتقاده أن الدافع إلى جمعها وتحصيلها هو الوصول إلى الحقيقة، فحينما رأى من نفسه أنه قد صار في عداد الواصلين قام بإغراقها، وقد فعل ذلك بعض الزهاد والمتصوفة،[٢] ومنهم الإمام الفقيه القدوة الزاهد أبو سليمان دواد بن نصير الطائي الكوفي (ت. ١٦٢هـ) أحد الأولياء، قال الذهبي: "كان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه ولَزِمَ الصمت، وآثر الخمول، وفرّ بدينه.[٣] وقال سفيان بن عيينة (ت. ١٩٨هـ): "كان داود ممَنْ فقه، ثم عَلَمَ. ثم عَمِلَ، وكان يجالس أبا حنيفة، فحذف يومًا إنسانًا، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان، طالت يدك، وطال لسانك، قال: ثم كان يختلف ولا يتكلم، قال: فلما عَلِمَ أنه بصير، عمد إلى كتبه فغرّقها في الفرات وأقبل على العبادة، وتخلى، وكان زائدة بن قدامة صديقًا له، قال: فأتاه يومًا، فقال: يا أبا سليمان {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} قال: وكان يجيب في هذه الآية، فقال له: يا أبا الصلت. انقطع الجواب، ودخل بيته".[٤]

ويرى بعض الباحثين أنه أصيب بحالة من "الاكتئاب" ظهرت أعراضه على

---

(١) أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٨).

(٢) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٠ – ٣١).

(٣) ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٨٣). راجع: محمود رشيد (٢٠١١، ص٢٠١).

(٤) الأصبهاني (١٤٠٩هـ، ج٧/ ص٣٣٦). الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٨/ ص٣٤٨).

شخصيته، فبدأت بالحزن الشديد بسبب إهانته وفقده لمكانته، ثم قلة الكلام، ثم الصمت، وعدم الرغبة في الخلطة بالناس، واعتزالهم عنهم، والانكفاء على الذات. فقد كان يحضر مجلس أبي حنيفة لكنه لا يسأل ولا يجيب، وظل ذلك سنة كاملة، ثم لزم الصمت، وأصبح لا يتكلم حتى مع قرناء الدراسة؛ "فكان يحضر المجلس وهو يخوضون وهو لا ينطق"،(١) ثم انكفأ على ذاته، وقل كلامه لدرجة كبيرة حتى لو سأله أحدهم لم يجبه؛ "وسأله أحدهم عن تفسير آية من القرآن "فقال: يا فلان انقطع الجواب"،(٢) وأصبح لا يرغب في معاشرة الناس، فلزم داره، ولم يعد يخرج إلا للصلاة؛ و"إذا سلم من الفريضة أسرع إلى منزله"،(٣) واعتزل الناس، وآثر الابتعاد عنهم، "وجلس في بيته عشرين سنة أو أقل حتى مات"،(٤) ورغب في العزلة أكثر، فأصبح يتحاشى استقبال الناس في بيته، حتى ولو كانوا أصدقاءه؛ "قال أبو أسامة: جئت أنا وابن عيينه إليه، فقال جئتماني مرة، فلا تعودا".(٥)

هذه الحالة من الاكتئاب دفعته في النهاية إلى إتلاف كتبه، فأغرق كتبه في نهر الفرات وقال يناجيها: "نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول"،(٦) أي أنه قد وصل إلى غاية العلم والمراد فلم يعد بحاجة

(١) ابن حبان (١٩٧٥، ج٦/ ص٢٨٢).
(٢) الذهبي (٢٠٠١، ج٧/ ص٤٢٣).
(٣) الذهبي (٢٠٠١، ج٧/ ص٤٢٣).
(٤) ابن سعد (١٩٩٤، ج٦/ ص٣٦٧).
(٥) الذهبي (٢٠٠١، ج٧/ ص٤٢٤).
(٦) ياقوت الحموي (١٩٩٩، ج٤/ ص٢٩٧). ابن خلكان (١٩٦٨، ج٢/ ص٢٥٩). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٣).

إلى تلك الكتب حتى لا يتأثر بها مَنْ يأتي بعده.[١] وتجد الإشارة إلى؛ أن مريض الاكتئاب تراوده من وقت لآخر الرغبة في الانتحار، وإتلاف المؤلف لكتبه هو نوع من الانتحار، وقطعٌ لكل رابطة بهذه الحياة.[٢] وهناك مَنْ يرى أن الفقيه أبو سليمان الطائي الكوفي كان لا يصبر على فراق كتبه، وأراد أن يتخلص من هذا المرض "فجمعها وأغرقها في الفرات".[٣]

وقد كان داود بصنيعه هذا قدوة لأبي حيان علي بن محمد التوحيدي (ت. نحو ٤١٤هـ) حينما أحرق كتبه، فعوتب في ذلك، فكتب رسالة بليغة طويلة سنة (٤٠٠هـ) هذا بعض ما جاء فيها: "وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يُقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويُعشى إلى نارهم". (فذكر دفن أبي عمر بن العلاء لكتبه في باطن الأرض). ثم قال: "وهذا داود الطائي وكان من خيار عباد الله زهدًا وفقهًا وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر-أي بحر الفرات-وقال يناجيها: "نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول".[٤]

والجدير بالذكر؛ أن تحريف المؤلفات بعد موت مؤلفيها أمر وارد، جعل المؤلفين "يصبون جام غضبهم ولعناتهم على مَنْ يحرف في كتابه أو ينهبه أو

---

(١) وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص١٩٣).

(٢) شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧، ص٢٥٣).

(٣) عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١١). مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١٢٠ - ١٢١).

(٤) ياقوت الحموي (١٩٨٠، ج٥/ ص١٩٣١). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٦). عدنان الشمري (٢٠٠٥، ص٣٠).

ينسبه لنفسه أو لغيره، أو يطمس معالمه، سواء من النساخين أو من المؤلفين"؛[١] مثال ذلك ما جاء في كتاب "مروج الذهب" للمسعودي (ت.٣٤٦هـ)، ما نصه "فمَنْ حَرَّفَ شيئًا من معنى هذا الكتاب، أو أزال ركنًا من مَبْنَاه، أو طَمَسَ واضحة من معانيه، أو لَبَّسَ شاهرة من تراجمه، أو غَيَّره، أو بَدَّله، أو انتحله، أو اختصره، أو نسبه إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، أو أسقط منه ذكرنا، فوافاه من غضب اللّه وسرعة نقمته وفَوَادح بلاياه ما يعجز عنه صَبْرُه، ويَحَار له فكره، وجعله اللّه مُثْلَةً للعالمين، وعبرة للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه اللّه ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مُبْدِعُ السموات والأرض، من أيِّ الملل كان أو الآراء، إنه على كل شيء قدير، وقد جعلنا هذا التخويف في أول كتابنا هذا وآخره، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا، ونظمناهُ من تأليفنا، فليراقب امرؤ ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى اللّه المصير".[٢]

هذا الخوف دفع "مجاهد بن موسى بن فروخ الخوارزمي، أبو علي الختلي" (ت.٢٤٤هـ)[٣] إلى إتلاف مؤلفاته،[٤] فهو "الزاهد، نزيل بغداد".[٥] قال الخطيب البغدادي بعد أن ذكر سند واقعة الإتلاف "قال لنا مجاهد بن موسى، وكان إذا حدَّث بالشيء رمى بأصله في دجلة، فجاء يومًا ومعه طبق، فقال: هذا بقي، وما

(١) شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧، ص٧٦).
(٢) المسعودي (١٩٢٧، ج٢/ ص٢١٦).
(٣) راجع: التميمي (١٩٥٢، ج٨/ ص٣٢١).
(٤) ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤، ج١٠/ ص٤١).
(٥) الذهبي (١٩٨٧، ج٥/ ص١٢٥٦).

أراكم تروني بعدها. فحدثنا به، ورمى به، ثم مات بعد ذلك".[١] والشاهد من هذه الواقعة أنه ما أتلفها إلا بعد أن روى ما فيها، ومن ثَمَّ خاف لو تركها بعد موته أن تقع في يد إنسان وأن يبدل فيها ويغير، فأتلفها.[٢]

كانت الرغبة في التفرغ للعبادة شعور اعترى بعض المؤلفين فرغب في عدم الانشغال بأي شيء عن العمل الصالح لله تعالى، حتى لو كان أفنى عمره في إعداد ذلك الشيء وتأليفه، وهذا يحدث أحيانًا في عصرنا هذا، فبعد أن يصل بعض العلماء لمرحلة عمرية معينة، يتجه الواحد منهم إلى العمل أكثر وأكثر للدار الآخرة، فتجده ينقطع شيئًا فشيئًا عن العمل المجتمعي، ويتجه لذاته، مفكرًا فيما قدمه وما سيقدمه، فينقطع للعبادة إلى حد كبير، ويقل ارتباطه بالدنيا ومظاهرها.[٣]

من هذا المنطلق أتلف كتبه بالإغراق الصوفي الكبير أحمد بن أبي الحواري (ت.٢٤٦هـ)،[٤] وهو "أحد العلماء الزهاد المشهورين، والعباد المذكورين، والأبرار المشكورين، ذوي الأحوال الصالحة، والكرامات الواضحة".[٥] "حمل كتبه إلى البحر البحر فغرقها،[٦] وقال: يا علم، لم أفعل بك هذا استخفافًا، ولكن لما اهتديت بك

(١) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج١٣/ ص٢٦٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٢٥).
(٢) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١٠٤ – ١٠٥). محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٥٩).
(٣) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص٨٣).
(٤) راجع: الذهبي (٢٠٠٦، ج٩/ ص٤٧٤ – ٤٧٨). قاسم عثمان (٢٠٠٥، ص٢٩٧).
(٥) ابن كثير (١٩٨٨، ج١٠/ ص٣٨٤).
(٦) أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٨). عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٣).

استغنيت عنك"،[١] وأثر عنه قوله: "نِعْمَ الدليلُ كنتِ لي على الله وإليه، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال".[٢] يقول ابن مفلح: وأحمد بن أبي الحواري الذي "رمى كتبه في البحر فغرقها، وقال لم أفعل هذا تهاونًا بك، ولا استخفافًا بحقك، ولكن كنت أكتب لأهتدي بك إلى ربى، فلما اهتديت بك إلى ربى استغنيت عنك".[٣]

وقد أتلف غير واحد من المتقدمين كتبه خوفًا من صيرورة العلم إلى غير أهله، وقد أشار الذهبي إلى وقوع مثل ذلك بقوله: "فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفًا من أن يظفر بها محدث قليل الدين، فيغير فيها، ويزيد فيها، فينسب ذلك إلى الحافظ، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام".[٤] وهذا

(١) الذهبي (١٩٩٣، ج١٢/ ص٨٨). أحمد بكري الطاهري (٢٠٠٨، ص١٠٠ هامش١).

(٢) ابن كثير (١٩٨٨، ج١٠/ ص٣٨). الأصبهاني (١٤٠٩هـ، ج١٠/ص٦). ابن الجوزي (١٩٩٦، ص٣٦). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١١). حاجي خليفة (١٩٩٠، ج١/ ص٤٠). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٧٤). خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٧).

(٣) ابن مفلح (١٩٩٠، ج١/ ص٩٠). الأصبهاني (١٤٠٩هـ، ج١٠/ص٦). وفي رواية أخري ساقها أبو نعيم، أنه حمل كتبه إلى شط الفرات، فجلس يبكي ساعة طويلة، ثم قال: نعم الدليل كنت لي على ربي، ولكن لما ظفرت بالمدلول كان الاشتغال بالدليل محال، فغسل كتبه في الفرات. الأصبهاني (١٤٠٩هـ، ج١٠/ص٦- ٧). الذهبي (١٩٩٦، ج١٢/ ص٨٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٧٤ – ٧٥). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١).

(٤) الذهبي (١٩٩٣، ج١١/ ص٣٩٦).

ما فعله موسى بن هرون (ت.٢٩٤هـ)[١] "كان إمامًا، حافظًا، حجةً"،[٢] قال أبو الطاهر الجنايدي (ت.٣٦٧هـ)[٣]: "كان موسى بن هرون يقرأ علينا، فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة، ويقول: لقد أديته"،[٤] وبقوله "لقد أديته" اتضح مبرر إتلافه لكتبه.

وبدافع الرغبة في التفرغ للعمل الصالح فإن أبو بكر الشبلي (ت.٣٣٤هـ) "سلك مسالك المتصوفة"،[٥] خاطب كتبه قبل أن يتلفها قائلاً "نعم الدليل أنتم، ولكن اشتغالي بالدليل بعد الوصول إلى المدلول محال".[٦] "وهو أحد شيوخ الصوفية المعدودين وزهادهم الموصوفين".[٧] وقد وصفه ابن فرحون بأنه "شيخ الصوفية، وإمام أهل علم الباطن، وذو الأنباء البديعة والإشارات الغريبة، وأحد المتصرفين في علوم الشريعة".[٨] ذكر إسماعيل حقي الإستانبولي أن الشبلي "غسل كتبه بالماء"،[٩] وهناك رواية أخرى ذكرها الخطيب البغدادي وابن عساكر، تقول: "وغرق

(١) راجع: الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج١٣/ ص٥٠).
(٢) ابن العماد (١٩٨٦، ج٢/ ص٢١٧).
(٣) راجع: القاضي عياض (١٩٦٧، ج٣/ ص٢٨٦).
(٤) ابن الجوزي (٢٠٠٣، ج١/ ص٢٨٨).
(٥) خير الدين الزركلي (١٩٨٠، ج٢/ ص٣٤١).
(٦) الإستانبولي (د.ت، ج٢/ ص٤٢١).
(٧) ابن عساكر (١٩٩٨، ج٦٦/ ص٥٠).
(٨) ابن فرحون (١٩٩٦، ج١/ ص٦٣).
(٩) الإستانبولي (د.ت، ج٢/ ص٤٢١).

"وغرق في هذه الدجلة التي ترون سبعين قمطرًا مكتوبًا بخطه"،[١] وقد تم إدراجه فيمَنْ أغرق، لأن خبر الإغراق روي على لسانه، وأما الغسل فقد حكاه غيره عنه.[٢]

ومن المتصوفة مَنْ تخلص من مصنفاته في النهر لأنه لم يعد بحاجة إليها؛ وهو أحمد بن محمد بن الخلال (ت.٣٦٠هـ)، فقد رمى بجملة من سماعاته القديمة في نهر دجلة،[٣] فكان "يرمى بالحديث مدة ثم يرجع فيكتب".[٤]

ويرى ابن الجوزي أن إتلاف المؤلف لكتبه بدافع التفرغ للعمل من تلبيس إبليس، فقال: "كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم، ثم لبس عليهم إبليس، وقال ما المقصود إلا العمل، ودفنوا كتبهم"،[٥] ويرى أن ذلك من خفي مكائد الشيطان، ويقول: "وإن من خفي مكائد الشيطان أنه يزيد في نفس الإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهو العلم"،[٦] وذلك لأن "العلم نور، وأن إبليس يحسّن للإنسان إطفاء إطفاء النور، ليتمكن منه في الظلمة، ولا ظلمة كظلمة الجهل، ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب، فربما استدلوا بذلك على مكايده حسَّن لهم دفن الكتب وإتلافها، وهذا فعل قبيح محظور، وجهل بالمقصود بالكتب".[٧] "وهذا من

(١) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج١٤/ ص٣٩٣). ابن عساكر (١٩٩٨، ج٦٦/ ص٥٤).
(٢) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١٣٠).
(٣) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٥/ ص١٥٥). أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٨).
(٤) الخطيب البغدادي (١٩٩٧، ج٤/ ص٣٩٠).
(٥) ابن الجوزي (٢٠٠٣، ج١/ ص٢٨٨).
(٦) ابن الجوزي (١٩٩٦، ج١/ ص٣٠).
(٧) ابن الجوزي (٢٠٠٣، ج١/ ص٢٨٩).

خفي حيل إبليس، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه، وإنما فعل وذلك لسببين أحدهما: أنه أرادهم يمشون في الظلمة، والثاني: أن تصفح العلم كل يوم يزيد في علم العالم، ويكشف له ما كان خفي عنه، ويقوي إيمانه ومعرفته، ويريه عيب كثير من مسالكه، خصوصًا إذا تصفح مناهج الرسول(ﷺ) والصحابة، فأراد إبليس سد تلك الطرق بأخفى حيلة، فأظهر أن المقصود العمل، لا العلم نفسه، وخفي على المخدوع أن العلم عمل وأي عمل، ما حذر من هذه الخديعة الخفية، فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة والحج والغزو".[١]

وخلاصة الأمر؛ أن المتزهدين الذين اتلفوا كتبًا صالحة كي لا تشغلهم عن التعبد، فذلك جهل منهم، لأنهم أطفأوا مصباحًا ينير الطريق لغيرهم، وضيعوا ما لا يجوز تضييعه،[٢] إذ لابد من العلم والعمل معًا حتى تتم العبادة والسعادة، فـ"السعادة الأبدية لا تتم إلا بالعلم والعمل، ولا يعتد بواحد منهما بدون الآخر، وإن كلاً منهما ثمرة الآخر".[٣]

وجاء في ترجمة ابن العريف الصنهاجي المقرئ (ت.٥٣٩هـ)، صحاب المقامات والإشارات أنه "ممَنْ ضرب عليه الكمال رواق التعريف، فأشرقت بأضرابه البلاد، وشرقت به جماعة الحسَّاد، حتى سعوا به إلى سلطان عصره، وخوفوه من عاقبة أمره، لاشتماله القلوب عليه، وانضواء الغرباء إليه، فغرَّب إلى مراكش، ...

(١) ابن الجوزي (١٩٩٦، ج١/ ص٣١).
(٢) وسام منير (٢٠٠٧، ص١٩٤).
(٣) حاجي خليفة (١٩٩٠، ج١/ ص٥٢).

فاستوحش، فغرَّق في البحر جميع مؤلفاته، فلم يبق منها إلا ما كُتب منها عنه".[١]

وقد قام بعض العلماء المسلمين بإغراق كتبهم ضنًا بها على مَنْ لا يعرف قدرها أو مَنْ لا يستحقها،[٢] ومن تلك الفئة إبراهيم بن الغرس (ت.٨٨٨هـ) "إبراهيم بن أحمد بن حسن بن الغرس خليل بن محمد بن خليل بن رمضان بن الخضر بن خليل بن أبي الحسن برهان الدين أبو إسحاق بن الشهاب أبي العباس بن البدر أبي محمد التنوخي الطائي العجلوني ثم الدمشقي الشافعي...، قرأ البخاري على العامة في الجامع الأموي والنصري، وخطه كعقله رديء، وعبارته سقيمة"، ونقل عنه أنه كان يقول: "إذا عاينت الموت ألقيتها في البحر"، أي كتبه، وهذا من باب الضن بها على غيره، وعدم رغبته في انتفاعهم بها؛ وهذا أمر غير مستبعد، فقد اشتهر عنه ذلك في حياته، حيث كانت "عنده من الكتب وأجزاء وتصانيف شيخه ما لم ينتفع به، بل وعطل على غيره الانتفاع بها، لعدم سماحه بعاريتها، حسبما استفيض عنه"؛ فضنه بها في حياته دليل على ضنه بها بعد مماته.[٣]

وفي ترجمة صفي الدين أبي السرور القاضي أحمد بن عمر المزجد الزبيدي (ت.٩٣٠هـ)، وهو ممَنْ اشتغل بالفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والحساب والفرائض، وبرع في علوم كثيرة، وتميز بفقه الإمام الشافعي. قال حفيده أبو الفتح

---

(١) الذهبي (٢٠٠١، ج٢٠/ ص ١١١ – ١١٣). أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٩).

(٢) عبد الستار عبد الحق الحلوجي (١٩٩١، ص٤٤). شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧، ص٢٥٢).

(٣) السخاوي (١٩٣٤، ج١/ ص١٢ – ١٣). وسام منير (٢٠٠٧، ص١٩٦). مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١١٥).

بن حسين المزجد عنه: "كان جدي شرح جامع المختصرات للنسائي في ستة مجلدات، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه".[١]

وذكر المحبي، أن عبد الله الكردي (ت.١٠٠٣هـ)، "عبد الله الكردي البغدادي ثمَّ الدمشقي، اشْتغل بالعلوم أَولاً وفَاق أقرانه، ثمَّ غلب عَلَيْهِ الْحَال وَرمى كتبه في المَاء، وسلك الطَّرِيقَة، ونال الرُّتْبَة الْعلية،... وَيُقَال كَانَ له كرامات شهيرة قيل كَانَ تَارَة لَا يَأْكُل وَلَا يشرب أسبوعًا وَتارَة يَأْكُل أكل سَبْعَة رجال".[٢]

٢(٢/٢) –وصية المؤلف بإغراق كتبه

وقد اِتَّهَمَ بعض المؤلفين أنفسهم بعدم الإخلاص في تأليف الكتب، فالصالحون من عباد الله المتقون يتهمون أنفسهم بالرياء، ويعملون الأعمال الصالحة لله تعالى، ثم هم يقدحون في إخلاصهم لله تعالى، وهذا ما حدث لبعض المؤلفين خلال فترة الدراسة؛ إذ ألفوا مؤلفاتهم ثم اتهموا أنفسهم في دافعهم ونياتهم عند تأليف هذه الأعمال، لأنهم "يرون أن حفظ الحديث وراويته فرض كفاية، وأن

(١) العيدروس (١٩٨٥، ص١٢٧). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٧٦). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٧). عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٦٥).

(٢) المحبي (د.ت، ج٣/ ص٨٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٩٥). أشرف صالح محمد (٢٠١٥، ص٩).

في غيرهم من أهل العلم مَنْ يقوم بالكفاية وزيادة، ويرون أن التصدي للرواية مع الكفاية بغيرهم لا يخلو من حظ النفس بطلب المنزلة بين الناس".[١]

الأمر الذي جعل الماوردي (ت.٤٥٠هـ) يقدم على إتلاف كتبه، وهو "الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، وله مصنفات كثيرة في الفقه، والتفسير، وأصول الفقه، والأدب".[٢] فقد دفن كتبه، وذكر ابن خلكان "أنه لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وإنما جمعها كلها في موضع، فلما دنت وفاته قال لشخص يثق إليه: الكتب التي في المكان الفلاني كلها من تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر فإن عاينت الموت ووقعت في النزع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قُبلت، وأني قد ظفرت بما كنت أرجوه من النية الخالصة، قال ذلك الشيء: فلما قارب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول، فأظهرت كتبه بعده".[٣]

وسواء كانت هذه الواقعة مقبولة عقلاً أو غير مقبولة، فقد ذكرها ابن خلكان، وذكرها من بعده الذهبي في "سير أعلام النبلاء"، وابن العماد في "شذرات الذهب"،

---

(١) العتمي (١٩٦٦، ج٢/ ص٢٤٤). مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١١٥).

(٢) الذهبي (٢٠٠١، ج١٨/ ص٦٤ – ٦٥).

(٣) ابن خلكان (١٩٩٤، ج٣/ ص٢٨٢ – ٢٨٣). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٨).

وغيرهما، والحجة على الراوي.[١] وهكذا دفن الماوردي كتبه في حياته، ثم أُظهرت بعد موته، وكان الدافع وراء دفنه لكتبه اتهامه لنيته وإخلاصه لله عز وجل، وقد صرح بذلك بقوله: "وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر".[٢] وعلى الرغم من أن هذه الكتب لم تتلف، إلا أن النية كانت مبيتة في ذهن هذا الفقيه بإغراقها في نهر دجلة. [٣]

(٢/٢) ٣-إغراق السلطة للكتب

ومن الأمور الطريفة والغريبة في تاريخ الكتاب الإسلامي ما كان يحدث من زوجات العلماء وجماعي الكتب من إتلاف لكتب أزواجهم عمدًا بدافع الغيرة من تلك الكتب أو الانتقام الشخصي من زوجها.[٤] ومن أغرب الأخبار عن ذلك ما حدث لمكتبة الأمير مبشر بن فاتك الآمدي (ت.٥٠٠هـ) "محمود الدولة، أبو الوفاء" من أعيان أمراء مِصْرَ وأفاضل علمائها المحبين للعلم وأهله، ومن المعروفين بتفوقهم في العلوم الرياضية والمنطقية، أصله من دمشق واستوطن الديار المِصْرَية في أيام الخليفة الظاهر والمستنصر. كان كثير الكتابة والتأليف، حيث وجدت له كتب كثيرة بخط يده من تأليف المتقدمين عليه، ومن مؤلفاته كتاب "الوصايا والأمثال والموجز حُلم الأقوال"، وكتاب "البداية في المنطق"، وكتاب "مختار الحكم ومحاسن الكلم"، وله كتاب عن سيرة الخليفة الفاطمي المستنصر

---

(١) مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥، ص١١٨).

(٢) ابن خلكان (١٩٩٤، ج٣/ ص٢٨٢ – ٢٨٣).

(٣) عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٦).

(٤) وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٢٩).

بالله في ثلاث مجلدات.[١]

ملك من الكتب عدد كبير يصعب حصره،[٢] فكانت له خزائن كتب لا يفارقها في أكثر أوقاته، وصفها الشيخ سديد الدين المنطقي، فقال: "كانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة، ويرى أن ذلك أهم ما عنده"،[٣] فانصرف عن أمور الحياة وانشغل بهذه الخزائن، حيث ملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرة. وقد دُمرت تلك المكتبة على يد زوجته، فقد كان لابن فاتك زوجة كبيرة القدر، ولكنها كانت تكره كتبه لانشغاله بها عنها، فعندما توفي الأمير قامت هي وجواريها إلى خزانة كتبه، وأخذت الكتب وألقت بها في بركة ماء كبيرة كانت في وسط الدار، ولقد رُفعت الكتب بعد ذلك من الماء، إلا أنه قد غرق أكثرها.[٤]

لقد أثرت الفتن والحروب وما تحمله معها من أحقاد وضغائن على وجود الكتاب العربي، فكثيرًا ما كان يعمد الغزاة بعد اجتياحهم لبلد من البلدان إلى إعدام

---

(١) إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨، ص٨١).

(٢) ياقوت الحموي (١٩٨٠، ج٥/ ص٥٣).

(٣) ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١، ج٣/ ص١٦٣). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٣٦).

(٤) ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١، ج٣/ ص٤٠٠- ٤٠١). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٣٦ – ١٣٧). وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٣٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٧). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣ – ٣٤). إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨، ص٨٢).

كل ما يمت بصلة إلى حضارته وثقافته.[١] فقد شهد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كارثة غزو المغول لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، حيث استهدف المغول مكتبة بغداد العظيمة وهي أعظم مكتبة على وجه الأرض في ذلك الزمان، وهي الدار التي كانت تحوي عصارة فكر المسلمين في أكثر من ستمائة عام، جمعت فيها كل العلوم والآداب والفنون وعلوم شرعية كتفسير القرآن أو الحديث والفقه والعقيدة، والأخلاق ومن علوم حياتية، كالطب والفلك والهندسة والكيمياء والفيزياء والجغرافيا وعلوم الأرض، ومن علوم إنسانية كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والتاريخ والفلسفة، وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى ملايين الأبيات من الشعر، وعشرات الآلاف من القصص والنثر، فإن أضفت إلى كل ما سبق الترجمات المختلفة لكل العلوم الأجنبية سواء اليونانية أو الفارسية أو الهندية أو غير ذلك، علمت حجم الخسارة الحضارية التي منيت بها الإنسانية.[٢]

حمل التتار الكتب الثمينة، ملايين الكتب القيمة، من بيت الحكمة وما في غيرها من مكتبات بغداد وخزائنها،[٣] وألقوا بها جميعًا في نهر دجلة، يقول ابن خلدون (ت.٨٠٨هـ) "واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها علي ما لا يبلغه

---

(١) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٢).

(٢) علي محمد الصلابي (٢٠٠٩، ص٢٠٢). راجع: عثمان عبد العزيز، عبد الباسط عبد الرزاق (٢٠٠٩، ص١٨٤ – ٢١١). نوفل محمد نوري (٢٠١٠، ص٤٢ – ٤٣).

(٣) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٢٣). دمر المغول بالإضافة إلى مكتبة بيت الحكمة ست وثلاثون مكتبة عامة أخرى في بغداد. منصور محمد سرحان (١٩٩٧، ص٦٦).

الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة".[١] ويذكر القلقشندي (ت.٨٢١هـ) تدمير بيت الحكمة بقوله: "ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن: إحداها خزانة الخلفاء العباسيين في بغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد،.... فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها".[٢]

ألقى المغول بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة، ويذكر قطب الدين النهروالي (ت. ٩٩٨هـ) أن المغول رَمَوا أيضًا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات، فكانت لكثرة عددها تشكل جسرًا يمر عليه قوات المشاة من الجنود والفرسان،[٣] وتحول لون المياه إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب والمخطوطات، وكان الفارس المغولي يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى،[٤] وهذه جريمة في حق الإنسانية،[٥] وخسارة للثقافة والمعرفة والحضارة الإسلامية.[٦]

بل إن حكايات ألف ليلة وليلة تحدثت عن الموضوع وبخاصةً حكاية علاء

---

(١) ابن خلدون (٢٠٠٠، ج٣/ ص٦٦٣).

(٢) القلقشندي (١٩٨٧، ج١/ ص٥٧٣). منصور محمد سرحان (١٩٩٧، ص٦٦ – ٦٧).

(٣) وقيل أن هولاكو أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة. راجع: محمد كرد علي (١٩٥٠، ج١/ ص٣٢٣).

(٤) النَّهروالي (١٨٨٦، ص٨٤ – ٨٥). وسام منير (٢٠٠٧، ص١٦٠). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣).

(٥) علي محمد الصلابي (٢٠٠٩، ص٢٠٣). وفاء أحمد سعيد (٢٠١١، ص٢٨٧).

(٦) محمد ماهر حمادة (١٩٧٨، ص٢٠٥).

الدين والفانوس السحري، فقد ورد فيها ما معناه: "أثناء الليل كانوا يغلقون أبواب بغداد خوفًا من أن يدخل إليها الزنادقة ويسيطروا عليها، وخوفًا من أن يرموا كتب العلم في النهر الفرات".[١] ولعله من الدلائل التي تؤكد وقوع هذه الجريمة الشنعاء في حق التراث الإسلامي، وجود دليل مادي يثبت جريمة التتار وهو كتاب في المكتبة القادرية الموجودة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، استطاع أحد المسلمين في أيام احتلال بغداد انتشاله من نهر دجلة من بين الكتب التي قذفها التتار فيه. ويستطيع كل قارئ أن يطلع على هذا الكتاب، وعلى ما هو مسجل فيه، وعلى أثر البلل الذي لحق بالكتاب فأربك الحبر في بعض صفحاته.[٢]

ويبدو أنه وقع التمييز بين الكتب قبل إتلافها فلم يتلف في هذه الواقعة سوى كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه، وهو ما ينبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت.٧٢٨هـ) حينما قال: "لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجمًا لهولاكو، استولى على كتب الناس الوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة".[٣]

فقد أمر هولاكو (ت.٦٦٠هـ) ببناء مرصد فلكي في مراغه (إحدى مدن أذربيجان) وعهَدَ به إلى العالم الفلكي والفيلسوف نصر الدين الطوسي (ت.٦٧٢هـ)، الذي رافق هولاكو في حملته على بغداد، ويقال إن عدد الكتب التي

---

(١) لوسيان بولاسترون (٢٠١٠، ص١٣٥).

(٢) محمود شيت خطاب (١٩٨١، ص٣٢٣).

(٣) ابن تيمية (د.ت، ج١/ ص١٥٥). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣).

انتهبها ليجعلها في مكتبة المرصد الفلكي كان يربوا على الأربعمائة ألف مجلد.[١]

وقد أدى جهل بعض أفراد المجتمع بقيمة الكتب في ضياع مؤلفات نفيسة، مثل ما حدث في القرن الثاني عشر الهجري، حيث تلفت وأغرقت كتب الشيخ عبد العزيز النجفي (ت.١١٨٠هـ)، وهو السيد عبد العزيز بن السيد أحمد، أديبًا من أفاضل عصره، جمع كتبًا نفيسة طلبها من العراق والهند، وكانت تُعد بالألوف، ومنها مخطوطات مذهبة، وبعد وفاته تفرقت بين ورثته، فباع فريق منهم حصته، وأهمل الفريق الآخر حصصه حتى أمست فريسة للأرضة،[٢] فتلف أكثرها على مر الأعوام، وألقيت جملة منها في بحر النجف وفي الآبار.[٣]

(١) محمد جميل بيهم (١٩٢٥، ص٧٣). وسام منير (٢٠٠٧، ص١٦٠). خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٢٣).

(٢) الأَرَضَةُ أو النمل الأبيض، الأَرَضَةُ أو "دابة الأرض" هذه هي التسمية المستعملة في اللغة العربية، فتسمى: «أَرَضَةُ» بفتح الهمزة بعدها راء مفتوحة وضاد معجمة مفتوحة اسم دودة بيضاء تشبه النملة.

(٣) جعفر آل محبوبة (١٩٥٥، ص١٠٤). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٧).

نتائج الدراسة

- يرى بعض الباحثين أن ظاهرة إتلاف المؤلفين لكتبهم لم تكن ذات أثر بالغ في تدمير الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين، أو في القدح في الحضارة الإسلامية؛ فحالات الإتلاف كانت قليلة مقارنةً بمئات الآلاف من علماء المسلمين الذين لم يتلفوا مؤلفاتهم، كما أن الكثير من الكتب التي أُتلفت وصلت إلينا عن طريق طلابهم الذين تلقوها من شيوخهم سماعًا. لكن الحقيقة أن ضياع ذلك التراث انعكس سلبًا على استكمال موضوعات وعناوين يحتاجها طالب العلم والعالم معًا فضلاً عن مثقفي الأمة، فهناك عناوين لمؤلفات لدى ابن النديم، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، وغيرهم من أصحاب كتب الفهارس والتراجم، إلا أننا لا نجد لتلك المؤلفات أثرًا سوى ذكر اسمها في سياق ترجمة أعمال هذا المؤلف أو ذاك، مما يجعل من إمكانية التواصل الثقافي في حياة أي أمة منقوصًا.
- النفاذ إلى طبيعة الجوهر في الأفكار الإنسانية، ومعطيات العقل، وأفعال الوعي، ليس بالضرورة أن تجد قبولاً مهما امتدت ما بين الذات والآخر، فكم قرأنا أعمالاً متجاوزة حلقت فوق راهنها وتاريخها، ولكنها قوبلت بالرفض والشك والمحاصرة، وإقامة الحواجز الشائكة؛ للحيلولة دون التحام هذه الأفكار ومحتواها مع مرحلتها الحضارية. ولكون هذه العقول لم تستطع حماية معرفتها ورؤيتها فقد لجأت إلى إتلافها غسلاً بالماء وإغراقها، مما قضى على جانب كبير من تراثنا العربي والإسلامي والذي كان بمثابة المكتبة الإسلامية في القرون الوسطى، أي أنه كان من أهم معالم الحضارة العربية الإسلامية في ذلك الوقت.

- إن جمهور المحدثين لم يرتضوا مسلك إتلاف الكتب في مجمله، وأن مَنْ سلكه منهم قد اشتبه عليه الأمر، ولم يكن في فعله مصيبًا، فلعل هذا كان منهم لاشتمالها على ما لا يحتاج إليه عموم الناس من أبواب العلم، أو لعلهم فعلوا ذلك في غلبة حال، ثم لعلهم ندموا بعد ذلك، فهذا هو الظن بهم، واللائق بمكانهم. وأيًا ما كان؛ فإن هذا لم يؤثر في حفظ السنة وتدوينها، لأن تلك الأفعال كانت فردية، ولم يكن منهاجًا عامًا عند المحدثين. أضف إلى ذلك؛ أن خطر الغرق لم يصب كتب السنة المشهورة المعتمدة في الرواية، وأن المحدثين قد نصوا في كتب التراجم على مَنْ تأثر ضبطه للحديث بغرق كتبه، ومَنْ لم يتأثر ضبطه.(١)
- النصوص التي ذكرتها الدراسة من المصادر الأصيلة تميط اللثام عن أغلب الدواعي لغسل الكتب، حيث تمثلت مبررات غسل المؤلفين لكتبهم في: الرجوع عما فيها لعدم صحة مضامينها أو عدم الرضا عن جودتها، التوبة والندم لما فيها من ضلال، دنو الأجل، الغضب، الضن بالمؤلفات، أما مَنْ أوصى بغسل كتبه بعد وفاته، فكان بدافع الخوف عليها من التحريف والتصحيف. وتمثلت مبررات إغراق المؤلفين لكتبهم في: الوصول إلى الحقيقة، الاكتئاب، الرغبة في التفرغ للعبادة والعمل الصال، الخوف من صيرورة العلم إلى غير أهله، عدم الحاجة إليها، الضن بها على مَنْ لا يعرف قدرها أو مَنْ لا يستحقها، عدم الرضا عن جودتها. أما مَنْ أوصى بإغراق كتبه بعد وفاته، فكان لاتهام نفسه بعد الإخلاص في تأليف الكتب.

---

(١) محمود رشيد (٢٠١١، ص٢٠٢).

- تمثلت مبررات غسل السلطة للكتب في: خوف مضاهاة الكتب بالقرآن والاشتغال بها عنه، خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، وعدم نشر الكتب الباطلة لما فيها من ضلال، تحريم الاقتناء والمطالعة، الخصومة والحسد، تأديب المؤلف. وتمثلت مبررات إغراق السلطة للكتب في: الانتقام الشخصي، الجهل بقيمة الكتب، الحروب والغزو الخارجي.

ببليوغرافيا

أولاً: المصادر

- ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١): مُوَفَّق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ تحقيق: عامر النجار.– القاهرة: الهيئة المِصْرَية العامة للكتاب.
- ابن الأثير (١٩٧٠): علي بن محمد بن عبد الكريم (ت.٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة.– القاهرة: دار الشعب.
- ابن الجوزي (١٩٩٢): جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت. ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك/ دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.– بيروت: دار الكتب العلمية. وطبعة (١٣٥٨هـ).– بيروت: دار صادر.
- ابن الجوزي (١٩٩٦): جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت. ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، صيد الخاطر/ تحقيق: السيد محمد سيد، سيد إبراهيم.– القاهرة: دار الحديث.
- ابن الجوزي (٢٠٠٣): جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت. ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، تلبيس إبليس/ تحقيق: أيمن صالح.– القاهرة: دار الحديث.
- ابن العديم (١٩٨٨): عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (ت. ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب/ تحقيق: سهيل زكار.– بيروت: دار الفكر.

- ابن العطار (٢٠٠٧): أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود (ت.٧٢٤هـ)، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة. عمّان: الدار الأثرية، ٢٠٠٧.
- ابن العماد (١٩٨٦): شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت. ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب/ تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط.- دمشق: دار ابن كثير.
- ابن الفرضي (١٩٦٦): أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي (ت. ٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ابن الفرضي (١٩٨٨): عبد الله بن محمد بن يوسف المعروف بأبن الفرضي (ت. ٤٠٣هـ)، تاريخ العلماء والرواة للعلم في الأندلس/ عنى بنشره السيد عزت العطار الحسيني.- القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن بسام (١٩٩٧): أبو الحسن علي بن بسَّام التغلبي الشنتريني (ت. ٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة.
- ابن بشكوال (١٩٦٦): أبو القاسم خلف الله بن عبد الملك (ت. ٥٧٨هـ)، كتاب الصلة.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ابن تيمية (بدون تاريخ): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت.٧٨٢هـ)، مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن حبان (١٩٧٥): محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (ت. ٣٥٤هـ). الثقات/ تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- ابن حجر العسقلاني (١٣٢٨هـ): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت.٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة.- القاهرة: طبعة مولاي عبد الحفيظ.
- ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت.٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان.- حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت.٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب.- بيروت: دار الفكر.
- ابن خلدون (٢٠٠٠): عبد الرحمن بن محمد (ت.٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)/ مراجعة: سهيل زكار.- بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن خلكان (١٩٩٤): شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان (ت. ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وإنباء الزمان/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار صادر. وطبعة (١٩٦٨).-بيروت: دار الثقافة.
- ابن سعد (١٩٩٤): أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت.٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.
- ابن طاووس (دون تاريخ): أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (ت.٦٦٤هـ)، فرج المهموم في تأريخ علماء النجوم.- د.م: د.ن.
- ابن عبد البر (١٩٧٨): يوسف بن عبد الله (ت.٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة

الأصحاب/ تحقيق: علي البجاوي.- القاهرة: دون ناشر.
- ابن عساكر (١٩٩٨): أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَنْ حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها/ دراسة وتحقيق: علي شيري.- بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن فرحون (١٩٩٦): إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت. ٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
- ابن كثير (١٩٩٨): عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت. ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية/ تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التزمي.- القاهرة: دار هجر. وطبعة (١٩٨٨)/ حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري.- القاهرة: دار إحياء التراث العربي.
- ابن مفلح (١٩٩٠)، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد (ت. ٨٨٤هـ)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد/ تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.- الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن هشام (دون تاريخ): أبي مُحَمّد جمال الذين عبد الله بن يُوْشف بن أخمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت. ٧٦١هـ)، مُغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب.- القاهرة: دار إحياء الكتب العربي.
- الإدريسي (د.ت): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس (ت. ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.- بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية.
- الأُدفُوي (١٩٦٦): كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي الأدفوي (ت.٧٤٨هـ)،

الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد/ تحقيق: سعد محمد حسن.- القاهرة: الدار المصرية للتأليف.

- الإستانبولي (بدون تاريخ): إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي (ت. ١١٢٧هـ)، تفسير روح البيان.- القاهرة: دار إحياء التراث العربي.
- الأصبهاني (١٤٠٩هـ): أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت. ٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأَصْبَهَانِي (١٩٨٨): الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت.٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- الإمام الذهبي (٢٠٠١)، سير أعلام النبلاء.- بيروت: مؤسسة الرسالة. وطبعة (١٩٩٣)، وطبعة (١٩٩٦)، سير أعلام النبلاء/ أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد.- بيروت: مؤسسة الرسالة. وطبعة (٢٠٠٦).- القاهرة: دار الحديث.
- الأوسي (بدون تاريخ): أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الثقافة.
- البغدادي (١٤٠٨هـ): أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي (ت.٦٢٩هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد/ تحقيق: كمال يوسف الحوت.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- التميمي (١٩٥٢): أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر

التميمي (ت.٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- التنوخي (١٩٢١): القاضي أبي عليّ، المحسّن التنوخيّ (ت.٣٨٤هـ)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة/ اعتنى بتصحيحه د. س. مرجليوث.- مصر.
- الثعالبي (١٩٨٣): عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت.٤٢٩هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر/ تحقيق: مفيد محمد قمحية.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- حاجي خليفة (١٩٩٠): مصطفى بن عبد الله القسطنطي (ت. ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.- بيروت: دار الفكر.
- الخطيب البغدادي (١٩٧٤): أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت. ٤٦٣ هـ)، تقييد العلم/ تحقيق: يوسف العش.- بيروت: دار إحياء السنة النبوية.
- الخطيب البغدادي (١٩٩٧): أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت. ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام.- بيروت: دار الكتاب العربي.
- الذهبي (١٩٥٥): شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت. ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تذكرة الحفاظ/ تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي.- بيروت: دار الفكر العربي. وطبعة (١٩٩٨)/ دراسة وتحقيق: زكريا عميرات.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- الزبيدي (١٩٧٣): أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت.٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة: دار

المعارف.
- الزيلعي (١٩٩٣): فخر الدين عثمان بن على الحنفي (ت. ٧٦٢هـ)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق.- بيروت: دار المعرفة.
- السبكي (١٩٩٢): أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت.٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى/ تحقيق: محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو.- القاهرة: دار هجر.
- السخاوي (١٩٣٤): شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت. ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- القاهرة: مكتبة القدس.
- السخاوي (١٩٩٩): شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت. ٩٠٢هـ)، الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر/ تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد.- بيروت: دار ابن حزم.
- السيوطي (٢٠٠٦): عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل (ت.٩١١هـ)، العَرْفُ الوَرْدِي في أخبار المَهْدِي/ تحقيق: أبي يعلى البيضاوي.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- السيوطي (٢٠٠٧): عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل (ت.٩١١هـ)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة.- القاهرة: مكتبة الخانجى.
- الشوكاني (١٩٢٩): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت.١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- الصفدي (١٩١١): صلاح الدين خليل أيبك (ت.٧٦٤هـ)، نكت الهميان في

نكت العميان/ وقف على طبعه: أحمد زكى بك.- مصر: المطبعة الجمالية.
- الصفدي (١٩٩٨): صلاح الدين خليل أيبك (ت.٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر/ تحقيق: على أبو زيد.- بيروت: دار الفكر المعاصر.
- الصفدي (٢٠٠٠): صلاح الدين خليل أيبك (ت. ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات/ تحقيق: مجموعة من العلماء.- بيروت: دار إحياء التراث.
- العتمي (١٩٦٦): عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت.١٣٨٦هـ)، التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني.- الرياض: مطبعة المعارف.
- عياض (بدون تاريخ): أبو الفضل موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت. ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق: أحمد بكير محمود.- بيروت: دار الحياة.
- العَيْدَرُوس (١٩٨٥): عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت.١٠٣٨هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- العيني (١٩٨٠): أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت. ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري.- القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الغزي (١٩٩٧): نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت. ١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة/ تحقيق: خليل المنصور.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- القاضي عياض (١٩٦٧): أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو

بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي (ت.٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق: أحمد بكير محمود.- بيروت: مكتبة الحياة.

- القفطي (٢٠٠٤): جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت. ٦٢٤هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة/ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.- بيروت: المكتبة العصرية بصيدا.
- القلقشندي (١٩٨٧): أحمد بن علي (ت.٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكتبي (١٩٥١): محمد بن شاكر (ت.٧٦٤هـ)، فوات الوفيات/ تحقيق: إحسان عباس.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. وطبعة (١٩٧٤).- بيروت: دار الثقافة.
- المحبي (بدون تاريخ): محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد (١١١١هـ)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر. بيروت: دار صادر.
- المسعودي (١٩٢٧): أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت. ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ.- القاهرة: المطبعة البهية المصرية.
- المقري (١٩٣٩): أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت. ١٠٤١هـ)، أزهار الرياض في أخبار القاض عياض/ تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- النَّهروالي (١٨٨٦): قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد (ت.٩٩٠هـ)، الإعلام بأعلام بين الله الحرام (تاريخ مكة المشرفة).- القاهرة:

المطبعة العثمانية.

- اليافعي (١٩٧٠): عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت.٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان.- بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ياقوت الحموي (١٩٨٠): أبو عبد الله (ت. ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.- القاهرة: دار الفكر. وطبعة (١٩٩١).- بيروت: دار الكتب العلمية. وطبعة (١٩٩٣)/ تحقيق: إحسان عباس.- بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ثانيًا: المراجع

- أحمد بكري الطاهري (٢٠٠٨) سوء الحفظ وأثره في قبول الحديث: دراسة تأصيلية تطبيقية/ رسالة ماجستير إشراف نصار أسعد.- جامعة دمشق: كلية الشريعة.
- أحمد بن عبد الله الباتلي (٢٠٠٢)، علماء احترقت كتبهم أو دفنت أو غرقت أو محيت: لطائف وأخبار.- الرياض: دار طويق.
- أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي (٢٠٠٥)، معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي.- الرباط: الخزانة الحسنية.
- أسامة محمد الحسيني يوسف (٢٠١٣)، الإدارة المتكاملة للمياه العربية.- القاهرة: المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
- إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨)، خزائن المعرفة في الحضارة العربية: مصر والشام والأندلس.- الجزائر: منشورات ألفا للوثائق.
- أشرف صالح محمد (٢٠١٥)، "التراث الفكري الضائع في التاريخ العربي الإسلامي".- مجلة آفاق الثقافة والتراث (تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – دبي).- العدد (٩٢) كانون الأول (ديسمبر). (ص٦ – ١٤).
- أشرف صالح محمد (٢٠١٧)، النهضة العربية الإسلامية في العصور الوسطى: دراسات في الإسهامات والانتكاسات.- دمشق: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع.
- باسل طه جاسم، فارس محمود ذنون (٢٠١١)، "المراكز العلمية المميزة في بغداد في العصر العباسي".- مجلة جامعة تكريت للعلوم.- المجلد (١٨)،

العدد (١١)، كانون الأول.
- جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (١٩٥٥)، ماضي النجف وحاضرها.- بغداد: مطبعة الآداب.
- جورجي زيدان (٢٠١٣)، تاريخ آداب اللغة العربية.- القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- حامد الشافعي دياب (١٩٩٨)، الكتب والمكتبات في الأندلس.- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
- خالد السعيد (٢٠١٨)، حرق الكتب: تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات.- الدمام: دار أثر للنشر والتوزيع.
- خالد عبد الرحمن أحمد طوالبه (٢٠١٥)، "المكتبات في الحضارة الإسلامية: مفهومها ومسمياتها ودورها التربوي ومراحل نموها وتنظيمها وأنواعها ومصائرها".- مجلة القراءة والمعرفة (مصر).- ع١٦٨ أكتوبر (ص١٧٠ - ٢١٢).
- خير الدين الزركلي (١٩٨٠)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.- بيروت: دار العلم للملايين. وطبعة (٢٠٠٢).- بيروت: دار العلم للملايين.
- خير الله سعيد (٢٠١١)، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية.- بيروت: دار الانتشار العربي.
- ربحي مصطفى عليان (١٩٩٦)، "الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية".- حلقة دراسية حول دور الكتب والمكتبات في الحضارة العربية

والإسلامية.- عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- رضا سعيد مقبل (٢٠٠٩)، تاريخ المكتبات في الأندلس.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- زيغريد هونكه (٢٠٠٠)، شمس العرب تسطع على الغرب/ نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي/ راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري.- بيروت: دار صادر.
- سليمان العلي (٢٠٠٦)، "اليعقوب أقدم المكتبات العربية نجت من الغرق وتستقبل القراء".- جريدة الشرق الأوسط.- العدد (١٠٠٩٧)/ بتاريخ الجمعة ٢٥ جمادى الثاني ١٤٢٧هـ/ ٢١ يوليو ٢٠٠٦م.
- سياب خيرة (٢٠١٤)، المياه ودورها الحضاري في بلاد المغرب الإسلامي (٧ – ١٠هـ/ ١٣ – ١٦م)/ رسالة دكتوراه إشراف محمد بن معمر.- جامعة وهران: كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية (الجزائر).
- السيد (السيد) النشار (١٩٩٣)، تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- شعبان عبد العزيز خليفة (١٩٩٧)، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- عابد سليمان المشوخي (٢٠٠٧)، "أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي".-تراثيات: مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.- ع٩/ جمادى الآخرة ١٤٢٨- يوليو ٢٠٠٧. (ص٢٩ – ٩٦).

- عبد التواب شرف الدين (١٩٩٨)، تاريخ أوعية المعلومات.- القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع.
- عبد الستار عبد الحق الحلوجي (١٩٩١)، لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات.- القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥)، الشذرات في أخبار الكتب والكتاب والمكتبات.- الكويت: غراس للنشر والتوزيع.
- عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١)، "ظاهرة غرق النصوص المحفوظة أو إغراقها ومحوها بالماء في التراث العربي الإسلامي".- مرآة التراث: مجلة علمية تراثية محكمة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث – الرباط.- ع١/ جمادي الثانية ١٤٣٢- يونيو ٢٠١١. (ص٢٦ – ٣٨).
- عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢)، الكتاب في الحضارة الإسلامية.- الكويت: شركة الربيعان.
- عثمان عبد العزيز صالح المحمدي، عبد الباسط عبد الرزاق الالوسي (٢٠٠٩)، "من روائع الحضارة العربية الإسلامية مكتبة بيت الحكمة أنموذجًا: دراسة تاريخية".- مجلة ديالى للبحوث الإنسانية (العراق).- الإصدار (٣٤) الصفحات (١٨٤-٢١١).
- عدنان الشمري (٢٠٠٥)، "لماذا أحرق أبو حيان التوحيدي كتبه".- مجلة الفيصل.- ع٣٤٨(يوليو/ أغسطس).
- عقيل عبد الله ياسين العابدي (٢٠١٦)، "أهمية المياه في الحروب الإسلامية (١ – ٤٠هـ/ ٦٢٢ – ٦٦٠م)".- مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات

والاجتماع.- العدد (٣) شباط – فبراير (١٤٥ – ١٦٤).
- علاء الدين صادق الأعرجي (٢٠١٥)، الأمة العربية الممزقة بين البداوة المتأصلة والحضارة الزائفة: دراسة لتفسير الصراع بنظرية العقل المجتمعي.- لندن: إي كتب.
- علي محمد الصلابي (٢٠٠٩)، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار.- بيروت: دار المعرفة.
- عمر رضا كحالة (١٩٨٧)، معجم المؤلفين.- بيروت: مكتبة المثنى.
- فيديريكو مايور (١٩٩٧)، "الماء والحضارة".- رسالة اليونسكو (مركز مطبوعات اليونسكو – القاهرة) س٥٠ أكتوبر ١٩٩٧.
- فيليب دي طرازي (١٩٤٨)، خزائن الكتب العربية في الخافقين.- بيروت: منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة.
- قاسم عثمان نور (٢٠٠٥)، الكتاب والمكتبة في الحضارة الإسلامية: منظور تاريخي.- الخرطوم: مركز قاسم للمعلومات وخدمات المكتبات.
- كامل حسين الغزي (١٩٩٨)، نهر الذهب في تاريخ حلب.- حلب: دار القلم.
- كوركيس عواد (١٩٣٤)، أثر قديم في العراق: دير الربان هرمزد بجوار الموصل.- الموصل: مطبعة النجم.
- كوركيس عواد (١٩٨٦)، خزائن الكتب القديمة في العراق: منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة.- بيروت: دار الرائد العربي.
- لوسيان بولاسترون (٢٠١٠)، كتب تحترق: تاريخ تدمير المكتبات/ ترجمة: هشام صالح، محمد مخلوف.- الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث.

- مجدي عبد الجواد الجاكي (٢٠١٥)، "إتلاف المؤلفين كتبهم في التراث العربي".- مجلة تراثيات (مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية).- العدد (١٧) يناير. (ص٧٣ – ١٦٤).
- محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥)، ظاهرة إتلاف الكتب: بواعثها، آثارها، موقف المحدثين منها.- القاهرة: دار الإحسان.
- محمد بن حسن بن عقيل موسى (١٩٩٥)، المختار المصون من أعلام القرون: مختارات من تسعة عشر كتابًا من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر.- جدة: دار الأندلس الخضراء.
- محمد بن زين العابدين رستم (٢٠١١)، الحافظ الرحالة أبو علي الصدفي الأندلسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي وعلومه.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمد بن شريفه (٢٠٠٢)، الأمير المرابطي ميمون بن ياسين: حياته وحجه (٤٧٠ هـ - ٥٣٠ هـ)/ المجلد (١٠) من كتاب "دعوة الحق".- المحمدية، المغرب: مطبعة فضالة.
- محمد جميل بيهم (١٩٢٥)، فلسفة التاريخ العثماني: كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها.- بيروت: مكتبة صادر.
- محمد كرد علي (١٩٥٠)، الإسلام والحضارة العربية.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- محمد ماهر حمادة (١٩٧٨)، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها.- بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.

- محمود أحمد يعقوب رشيد (٢٠١١)، "المخاطر التي تعرضت لها كتب الحديث جمعًا، وتصنيفًا، ودراسة لتأثيرها على كتب الرواية".- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (جامعة آل البيت - الأردن).- المجلد (٧) العدد (٣) ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.
- محمود شيت خطاب (١٩٨١)، الوسيط في رسالة المسجد العسكرية.- بيروت: دار القرآن الكريم.
- محمود عزت عرفة (١٩٤٤)، "وجهة نظر".- مجلة الرسالة، العدد (٥٨٦) بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤.
- معجب سعيد العدواني (٢٠١٣)، "مضمرات التأويل: الأنساق الثقافية لظاهرة إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية".- حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية (٣٣) الرسالة (٣٧٢) مارس ٢٠١٣ (٨ – ٨٢).
- معجب سعيد العدواني (٢٠١٥)، رماد الكتب: الأنساق الخفية في ثقافتنا.- بيروت: دار الانتشار العربي.
- منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣)، اهتمام المسلمين بالكتب.- الرياض: دار القاسم.
- منصور محمد سرحان (١٩٩٧)، المكتبات في العصور الإسلامية.- المنامة: مكتبة فخراوي.
- مهدي علي زبون (٢٠١٢)، "نشأة المكتبات وتطورها في الدولة العربية الإسلامية حتى عصورها الوسطى".- مجلة جامعة كربلاء (العراق).- المجلد: ١٠ الاصدار: ٤ (٣٢ – ٤٢).

- ناصر الحزيمي (٢٠٠٣)، حرق الكتب في التراث العربي: مسرد تاريخي.- بيروت: منشورات الجمل.
- نوفل محمد نوري (٢٠١٠)، "إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة تاريخية في أسبابها في العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ – ١٢٥٨م)".- مجلة التربية والعلم (العراق).- المجلد (١٧) العدد (٤) الصفحات (٣٠ – ٥١).
- وسام منير عبد الرحمن الزغبي (٢٠٠٧)، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري/ أطروحة ماجستير إشراف: محمود عباس حمودة.- القاهرة: كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر.
- وفاء أحمد سعيد البياتي (٢٠١١)، "الكتب والمكتبات في الحضارة العربية والإسلامية".- مجلة البحوث والدراسات الاسلامية (ديوان الوقف السني – العراق).- المجلد (١) الاصدار (٢٣) الصفحات (٢٦٥-٢٩٠).
- يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨)، الكتاب في الحضارة الإسلامية.- بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- يوسف العش (١٩٩١)، دُور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط/ ترجمه عن الفرنسية: نزار أباظة، محمد صباغ.- بيروت: دار الفكر المعاصر.